السياسات الحيوية وحالة الاستثناء

" دراسة اجتماعية تطبيقية على الحرب في غزة: ما بين الحياة والموت "

د/ نيرة محمد علوان(*)

الملخص:

إن هذه الورقة البحثية هي نتاج مسارين بحثيين متوازيين؛ الأول: المسار النظري واستدماج أفكار ميشيل فوكو حول السياسات الحيوية، وأفكار أجامبين حول حالة الاستثناء، أما المسار الثاني فقد خطه الواقع المعيش، وهو الوضع في غزة كحالة استثناء فريدة، ولهذا فقد تبلورت إشكالية هذه الورقة البحثية في تساؤل رئيس ألا وهو: ما السياسات الحيوية التي انتهجها الكيان المحتل في حربه على غزة؟ وكيف طبق الاحتلال حالة الاستثناء في غزة؟ وقد تفرع عن هذا التساؤل عدد من التساؤلات وهي: كيف تداول مفهوم السياسة الحيوية عند فوكو في الفكر الاجتماعي والبحث العلمي كمفهوم يحافظ على حياة البشر؟ متى وكيف تتشكل أشكال التماس بين السياسات الحيوية والقانون وتحدث حالة الاستثناء التي أشار إليها أجامبين؟ هل غزة تمثل نموذجًا لحالة الاستثناء؟ وما أنماط السياسات الحيوية التي استخدمت في الحرب عليها؟ وكيف تشكل المشهد العالمي المعاصر تجاه الحرب على غزة وحالة الاستثناء الفريدة؟

اعتمدت الورقة البحثية على المنهج الوصفي التحليلي، واستخدمت منهجية التحليل الثانوي، وتحليل مضمون كيفي لعدد من القنوات الإخبارية، ومواقع التواصل، ومنشورات وتقارير رسمية دولية وفلسطينية، وقد خلصت الدراسة إلى عدة نتائج منها بزوغ مفهوم السياسات الحيوية السوداء، مع وجود حالة من الاستثناء فريدة رفع بها القانون الوضعي والإنساني.

الكلمات المفتاحية:

السياسات الحيوية – حالة الاستثناء – حرب غزة

(*) أستاذ علم الاجتماع المساعد بقسم علم الاجتماع جامعة القاهرة.

BIOPOLITICS AND THE STATE OF EXCEPTION AN APPLIED SOCIAL STUDY ON THE WAR ON GAZA: BETWEE LIFE AND DEATH "

Dr. Naiera Mohamed Elwan

Abstract:

This research paper is the outcome of two parallel investigative tracks. The first is a theoretical track, integrating Michel Foucault's ideas on biopolitics and Giorgio Agamben's theory of the state of exception. The second track is rooted in lived reality—specifically, the situation in Gaza, considered a unique case of exception. The main research question this paper seeks to answer is: What biopolitical strategies has the occupying entity employed in its war on Gaza? And: How has the state of exception been implemented in Gaza? Several sub-questions emerge from this main question: How has Foucault's concept of biopolitics been interpreted in sociological thought and academic research as a framework for preserving human life? When and how do intersections between biopolitics and legal systems emerge, giving rise to what Agamben described as a "state of exception"? Does Gaza represent a model of the state of exception? What patterns of biopolitical governance were employed during the war on Gaza? How has the global contemporary scene been shaped by the war on Gaza and this exceptional state? The paper adopts a descriptive-analytical approach, utilizing secondary analysis methodology and qualitative content analysis across a range of news channels, social media platforms, and both international and

Palestinian official publications and reports. Among the study's key findings is the emergence of a concept of "dark biopolitics" within a uniquely suspended legal and humanitarian context—one where both positive law and human rights frameworks were lifted.

Keywords:

Biopolitics – State of Exception – Gaza War

أولًا: مقدمة في إشكالية البحث وتساؤلاته:

لقد بزغت مشكلة هذه الورقة البحثية نتاج مسارين فكريين متوازيين، وقد حاولت هذه الورقة أن تكون نقطة التقاء لكل من المسارين، الأول: المسار النظري، وعودة توهج نجم أفكار فوكو حول السياسات الحيوية "Biopoltics" مع جائحة كورونا، وما ارتبط بها من سياسات بيولوجية في العالم أجمع، وما تبعها من تعليق للقوانين في حالة استثناء عالمية ألقت الضوء على أفكار جورجينو أجامبين حول حالة الاستثناء، وهذا ما وجه الاهتمام لتلك الأفكار النظرية كمسار أولي للبحث، أما المسار الثاني فقد خطه الواقع المَعيش، والوضع في غزة، وظهور حالة فريدة من الاستثناء، استدعت كل ما طرحه المسار الأول من أفكار فوكو وأجامبين للواقع التطبيقي، وكان على البحث العلمي أن ينفض يده من حالة الطبقة الوسطى التي أشار إليها "رايت ميلز" في كتابه ذوي الياقات البيضاء، وألا تكون تلك الأحداث في غزة شريطًا سينمائيًا يشاهده الباحثون، واضعين حاجزًا من اللامبالاة كغيرهم من الأفراد، غير مكترثين بالأحداث الجسام، ولا مبالين بمشاكل العصر (أحمد زايد: ٢٠٢٢: ص ٦٤). في ظل تأكيد العديد من الدراسات على أن الشعب الفلسطيني تعرض لحصار، وإغلاق للحدود، وتفكيك للأسر، واعتقال، ومحاولات تفكيك النسيج الاجتماعي. (أحمد نوفل، ٢٠٢٢: ١٣٦: ١٣٨)

فإن ما شهدته الحرب على غزة من أحداث استلزمه أن تكون مسارًا للبحث العلمي الاجتماعي في ظل مشاهد استثنائية كمحاولات محو المشهد السكاني الفلسطيني، في ظل إبادة مكانية وجماعية من خلال استخدام سياسات حيوية لها طابع لا إنساني، ورفع للقوانين الدولية في حالة استثناء للإنسان الفلسطيني، واعتباره منفصلًا عن مكانته السياسية، واستبعاده من المجتمع السياسي.

وهنا تبلورت إشكالية هذه الورقة البحثية لتجمع المسارين معًا في تساؤل رئيس ألا وهو: ما السياسات الحيوية التي انتهجها الكيان المحتل في حربه على

غزة؟ وكيف طبق الاحتلال حالة الاستثناء في غزة؟

وتفرع عن هذا التساؤل عدد من التساؤلات الفرعية:

(١) كيف تداول مفهوم السياسة الحيوية biopolitics عند فوكو في الفكر الاجتماعي والبحث العلمي كمفهوم يحافظ على حياة البشر؟

(٢) متى وكيف تتشكل أشكال التماس بين السياسات الحيوية والقانون وتحدث حالة الاستثناء التي أشار إليها أجامبين؟

(٣) هل غزة تمثل نموذجًا لحالة الاستثناء؟ وما أنماط السياسات الحيوية التي استخدمت في الحرب عليها؟

(٤) كيف تشكل المشهد العالمي المعاصر تجاه الحرب على غزة وحالة الاستثناء الفريدة؟

ثانيًا: أهداف الدراسة:

إن الإجابة عن هذه التساؤلات تحقق عددًا من الأهداف أهمها التعرف على أشكال السياسات الحيوية التي انتهجها الاحتلال في حربه على غزة، وكذلك حالة الاستثناء الفريدة، ويتحقق ذلك الهدف من خلال عدد من الأهداف الفرعية هي:

(١) استعراض أهم أفكار فوكو حول السياسات الحيوية كمفهوم والاهتمام البحثي حوله.

(٢) الإلمام بالجدل الفكري حول حالة الاستثناء عند أجامبين.

(٣) طرح الحرب على غزة كنموذج تطبيقي لحالة استثناء معاصرة فريدة، تمارس عليها سياسات حيوية ذات طبيعة خاصة.

(٤) تحليل المشهد العالمي تجاه الحرب على غزة.

ثالثًا: أهمية الدراسة:

إن أهمية هذه الورقة البحثية ارتبطت بالمسارين اللذيْن انطلقت منهما الدراسة، ولذا فهي ذات جانبين نظري وتطبيقي.

(١) الأهمية النظرية:

تبلورت الأهمية النظرية لهذه الورقة البحثية في أنها تقدم محاولة للمزج بين أفكار فوكو وأجامبين مع تطبيقها على الواقع المعاصر، حيث إنه بالرغم من اهتمام عدد من الدراسات بأفكار كلٍّ منهما، إلا أن هذه الورقة البحثية تحاول أن تقدم متصلًا فكريًّا يبدأ من السياسة الحيوية كمفهوم إيجابي ثم الأشكال المظلمة منه عند فوكو مرورًا بالتحول إلى حالة الاستثناء عند أجامبين، وتشكل الإنسان المستباح ومن ثم التطبيق الواقعي لتلك الأفكار النظرية على حرب غزة.

(٢) الأهمية التطبيقية:

إن الأهمية التطبيقية لهذه الورقة البحثية، ربما تكون هي الهدف الأسمى لهذه الورقة البحثية، حيث إن الدراسة تسعى لإماطة اللثام عن أقصى حالات الاستثناء في العصر الحديث، والتي يتعرض لها الشعب الفلسطيني منذ قديم الأزل، وإن كانت الحرب على غزة قد أعادت الضوء تجاه القضية القديمة الحديثة.

كذلك تكمن أهمية الورقة البحثية في محاولة الإشارة للمشهد العالمي غير العادل، وهي محاولة ربما يستفيد بها صانعو القرار، كخطوة في سبيل إبراء الذمة للبحث العلمي الاجتماعي من شبهة التواطؤ عن طريق الصمت.

رابعًا: الإجراءات المنهجية للدراسة:

اعتمدت هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي؛ واعتمدت منهجية التحليل الثانوي Secondary Analysis method، باعتبار البحث يعكف على تحليل الحرب على غزة، باستخدام المقولات النظرية السابق الإشارة إليها، ولذا فإن

هذه المنهجية تلائم تحليل طبيعة البيانات النظرية حول موضوع الورقة البحثية، وقد مرت منهجية التحليل الثانوي بعدة خطوات لتحقيقها ألا وهي:

الخطوة الأولى: حصر التراث البحثي - بقدر الإمكان- الذي اهتم بمفهومي السياسة الحيوية وحالة الاستثناء، وكذلك ما تناول علاقتهما بالحروب خاصة المجتمع الفلسطيني، وكذلك تقارير المنظمات والمؤسسات الدولية.

الخطوة الثانية: تحليل هذا التراث في ضوء مفهوم السياسة الحيوية لفوكو، وحالة الاستثناء لأجامبين، وتطورهم وصولًا للتطبيق على الحرب في غزة.

الخطوة الثالثة: تحديد المجالين الجغرافي والزمني وهي الحرب على غزة منذ ٧ أكتوبر ٢٠٢٣ وحتى نوفمبر ٢٠٢٤ وهي فترة الانتهاء من الورقة البحثية وليس الحرب.

ولأن تحليل المادة الميدانية من الأمور التي شكلت معضلة للبحث، حيث إن الواقع الميداني لم يكن له وتيرة ثابتة أو عقلانية يمكن إخضاعها للتحليل المنهجي التقليدي الصارم، لاستحالة الوصول للميدان أو توقع مجرياته، ولذا تم الاعتماد على مصادر معلومات من خلال تكنولوجيا المعلومات، واستخدام "تحليل مضمون كيفي" لعدد من القنوات والمواقع الإخبارية على مواقع التواصل الاجتماعي منذ ٧ أكتوبر ٢٠٢٣، كذلك منشورات جهاز التعبئة العامة والإحصاء الفلسطيني، وأخبار الأمم المتحدة، ومنظمات حقوق الإنسان، وموقع وزارة الصحة الفلسطينية، وهيومن رايت ووتش، وكذلك المرصد الأورومتوسطي لحقوق الإنسان، والمركز الفلسطيني للإعلام، وتقارير حقوق الإنسان، بصورة شبه يومية.

ومن الصحف والقنوات والشبكات الإخبارية:

(١) شبكة قدس الإخبارية.

(٢) صحيفة القدس.

(٣) الجزيرة فلسطين.

(٤) قناة العربية.

(٥) قناة روسيا اليوم.

(٦) أخبار الأمم المتحدة.

(٧) س إن إن بالعربية.

(٨) قناة DW عربية.

(٩) الجزيرة مصر.

(١٠) القناة ١٢ الإسرائيلية.

(١١) موقع الأمم المتحدة.

(١٢) يونيسف دولة فلسطين.

(١٣) قناة الغد.

(١٤) قناة الجزيرة.

(١٥) المرصد الأورومتوسطي لحقوق الإنسان.

(١٦) هيومن رايت ووتش.

(١٧) الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني.

(١٨) قناة يورونيوز.

(١٩) الجزيرة الوثائقية.

(٢٠) صحيفة اليوم السابع.

(٢١) المركز الفلسطيني للإعلام.

(٢٢) قناة الحرة.

وذلك إلى جانب متابعة صفحات المؤثرين الفلسطينيين داخل غزة، والاعتماد كشكل من أشكال "Visual Ethnography"، وإن كان عن بُعد، لاستحالة الوصول للميدان داخل غزة، فكان تحليل الفيديوهات المرئية على Instagram وTikTok مصدرًا غنيًا لنقل الأحداث المرئية والحية يومًا بيوم، حيث أصبح نقل الصورة المرئية الآن من أكثر التغيرات التي كان لها تأثير في البحث العلمي وفي الثقافة المعاصرة، حيث أصبحت شاهدًا على وقائع حياتنا اليومية، وطرق المعيشة للعديد من البشر مؤخرًا، والفيديو وما يحويه من ديناميات ثقافية لم يأخذ أهميته من التحليل الكافي، حيث إن تكنولوجيا الفيديو المعيش أو "اللايف" تسمح بالتسجيل الفوري والتحميل، ومن ثم إعادة الأمر شديد الأهمية، فالفيديو أصبح حاضرًا في كل مناحي الحياة، وهذا ما حدث في توثيق الحرب على غزة، ولهذا فتحليل محتوى الفيديوهات المنتشرة، ومتابعة داخل غزة من خلالها، كان داعمًا منهجيًّا ثريًا لإتمام هذه الورقة البحثية من خلال تحليل الموضوعات والعناصر، وتفصيص البيانات المتضمنة، وتصنيفها وفق محاور البحث، والبحث عن العلاقات القائمة (ماتيوز وروس، ٢٠١٦: ٦٩٧) ولم تعتمد الورقة البحثية على التقنية الآلية لعد الكلمات لتحليل المضمون، بل اعتمدت الورق تكنيك تحليل الموضوعات باعتبارها أكثر ملاءمة لطبيعة الميدان، وقد تم ذلك في عدة مراحل هي:

أ) تحديد الأهداف بدقة.

ب) تحديد عينة المحتوى: وهي النصوص المرئية، وقائمة بالمؤثرين، والمواقع الإخبارية، والتقارير.

ج) تصنيف الموضوعات والبيانات اللفظية والمرئية والمكتوبة إلى عناصر محددة ترتبط بثلاثة محاور هي: السياسات الحيوية داخل غزة، وحالة الاستثناء المفروضة من الاحتلال، ثم الوضع العالمي.

د) ربط العناصر وتجميعها في قضايا محددة هي محور البحث الميداني،

ووضعها في سياقها البنائي والتاريخي.

هـ) إخضاع هذه القضايا إلى التفسير والتحليل النظري في ضوء نتائج منهجية التحليل الثانوي وتحليل المضمون الكيفي.

وقد استدمج البحث المقاربة النقدية في مراحله المختلفة في ضوء السياق النظري والبنائي التاريخي.

خامسًا: السياسات الحيوية وحالة الاستثناء (مقاربات الفهم والتحليل):

وهنا نتناول مفهوم السياسة الحيوية لفوكو وتطور الاهتمام البحثي حوله، ثم نستعرض أفكار أجامبين حول حالة الاستثناء، والتراث البحثي حولها.

١) السياسة الحيوية دعوة للحياة:

مفهوم "السياسة الحيوية" "Biopolitic's" هو مصطلح استخدمه ميشيل فوكو (Michel Foucault, 1926-1984) عام "١٩٧٤" في مؤتمر عن المراقبة الرأسمالية للجسد، بجامعة ريو في البرازيل، حول "الطب الاجتماعي"، وانتشر بعد ذلك عام ١٩٧٦، واتسع المفهوم ليستخدم في العديد من العلوم الاجتماعية، بما يتضمنه من ممارسات وتقنيات، تستخدم من قبل الدول والسلطات العامة، للسيطرة على الأجساد والصحة العامة، خاصة في ظل تفشي الأوبئة والأمراض، ذلك المفهوم الذي يفترض ترابطًا بين القوى المادية والبيولوجية (زهير الخويلدي، ٢٠٢٠).

وتدرس السياسة الحيوية بوصفها مفهومًا يتضمن التأويل السياسي للدورة الوظيفية التي تقوم بها البيولوجيا في المجتمعات الحديثة، وهذا ما أكده فوكو في محاضراته منذ عام ١٩٧٨ – ١٩٧٩ عن مولد السياسة الحيوية، والتي ألقاها في الكوليج دي فرانس، وقد أكد فوكو على ضرورة رد المفهوم إلى سياقه، وفي هذا الإطار ميز فوكو بين التاريخ الحيوي "Biohistorie" في مقابل السلطة

الحيوية "Biopouvol"، والذي يشير به إلى أثر التدخل الطبي على المستوى البيولوجي، وما يمكن أن يؤدي إليه من نتائج مثل انحسار الأوبئة والأمراض، وهنا أكد فوكو على أن فكرة السياسة الحيوية هي محور اهتمام المجتمعات الرأسمالية الحديثة؛ لكون الجسد في نظر النظام الرأسمالي هو حقيقة سياسية حيوية، وكذلك الطب هو استراتيجية سياسية حيوية، وهنا فقد تم الاعتراف بالجسد كحقيقة سياسية واجتماعية، وكقوة عمل ابتداء من ق ١٩، ولذلك فقد حاول فوكو متابعة كيفية تحول الجسد إلى قيمة سياسية وطبية.

لا يفرق فوكو كثيرًا بين السياسة الحيوية والسلطة الحيوية، باعتبارهما يركزان على تحول الحياة إلى موضوع للسلطة، وبهذا يربط بين مفهوم السياسة الحيوية ومفهوم السلطة الانضباطية، واعتبر فوكو السياسة الحيوية تكنولوجيا جديدة للسلطة، فهي تعني لديه ممارسات سياسية، ولها وظيفة معينة مثل ممارسة التطعيم، والموضوع الأساسي للسياسة الحيوية هو السكان وصحة السكان والجماعات، ويعتبر مفهوم السياسة الحيوية هو المثال النموذجي لتقاطع المعرفي والسلطوي، والنظري والعملي، فقد كشف عن الرهانات التي يحملها تحويل موضوع الحياة إلى موضوع سياسي لأهداف مختلفة اقتصادية أو سياسية، بل من الممكن ألا تؤدي إلى الحفاظ على الحياة، بل أيضًا يمكن أن تؤدي إلى القضاء على الحياة وإن كان أول من استخدم مفهوم السياسة الحيوية هو "فوكو" إلا أن البعض يشير إلى أن "كونت" قد سبق "فوكو" باستخدامه مفهوم "biocratie" للدلالة على سلطة الحياة باعتبارها أساس سلطة المجتمع "Sociocratie" (الزواوي بعورة، ٢٠١٢: ٢٦: ٩١).

وتتخذ السياسات الحيوية عند فوكو طابعًا لتحسين الحياة والحفاظ على الجسد الاجتماعي؛ ولهذا تستخدم السياسة الحيوية آليات لتحسين الحياة، من خلال استخدام السلطة الحيوية، بوصفها شكلًا من أشكال السلطة يهدف إلى إخضاع الحياة لاستراتيجيات السياسة، وبهذا تصبح السلطة السيادية عنده. (عامر ناصر ودعاء جمال : ١٠٦-١١١)، حيث تتضمن هذه السلطة الحيوية

الاهتمام بالانضباط، وسلطة إدارة الحياة من خلال السلطة على الجسد (النوع، الميلاد، الوفاة، مدة الحياة) أي تكفل السلطة بالحياة من خلال تدخلات رقابية وانتظامية والتي تسمى السياسة الحيوية، وهنا تمثل تلك السياسات الحيوية تكنولوجيات وتقنيات ووسائل تقوم بها السلطة للتدخل في الظواهر الحيوية للسكان، أو ما يسميه فوكو نفسه "الجسم الاجتماعي" المتوقع في مؤسسات متنوعة مثل الأسرة، والجيش، والمدرسة، وغيرها، بهذا تصبح الحياة قصدًا للسياسة عند فوكو، السياسات الحيوية هنا تُخضع الحياة لاستراتيجياتها، وتتعامل مع السكان بوصفهم جسدًا اجتماعيًّا حيويًّا وبيولوجيًّا، وهكذا تتداخل العلاقة بين السياسة والحياة. (شطارة، عامر ناصر ودعاء جمال، ٢٠٢٢: ٩١- ٩٨)

يظهر أن مفهوم السياسات الحيوية من المفاهيم العصيّة على التباري، ويكمن السبب في إمكانية إعادة توظيفه واقعيًّا لتجاوزه، وقد انعكس ذلك على استخدام المفهوم في العديد من الدراسات لاختبار تلك العلاقة الفريدة التي تمتزج بها البيولوجيا بالسياسة، والأجساد بالسلطة، في شكل فريد يجمع بين الاهتمام بالوجود البيولوجي للبشر، والسيطرة عليه بشكل إيجابي لمصلحة الإنسان، أو حتى النمط السلبي المتمثل في السيطرة والإخضاع. كما أشار فوكو إلى معسكرات الاعتقال والنظم العنصرية والفاشية تلك الأفكار التي طورها "Giorgio Agamben" أجامبين (سنشير له لاحقًا) وروبرت اسبوسيتو "Robert Esposito" و"Antonio Negri" انطونيو نيجري، ومايكل هاردت "Michael Hardt" في مجال العلوم الاجتماعية فقط، وقد اهتم بتبادل الفكرة أيضًا من خلال الدراسات القانونية ونظرية العلاقات الدولية والديموجرافيا، بل وتاريخ الطب والبيولوجيا (Nilson and Olov, 2013: 7-8).

ولقد عُقدت مؤتمرات للاستخدام الحديث للسياسة الحيوية عند ميشيل فوكو في الحياة الحديثة، مثل مؤتمر سياسات الحياة: ميشيل فوكو والسياسة الحيوية للحداثة، والذي عُقد في جامعة "Sodertorn" في ستوكهولم في سبتمبر ٢٠٠٩ (Nilson and Walenslen, 2013: 37) مما يؤكد على أن المفهوم قديم حديث

ومتجدد في تطبيقاته، وقد أشار البعض إلى أن التراث البحثي المعاصر - بالرغم من أهميته - إلا أنه تجاهل اختبار المفهوم من خلال مفهوم "الحياة" ذاتها، واهتم بالقوة الحيوية والتكتكيات السياسية للدولة والحكومة، وأهمل التفاعل الحيوي للدولة السياسية الحيوية "biopoliticalstate" في علاقتها بالحياة ذاتها (Mills, 2013: 90).

وقد انعكس ذلك بتركيز العديد من الدراسات المعاصرة على اختبار مفهوم السياسة الحيوية على المستوى النظري أكثر من التحليل الإمبريقي، ومن هذه الدراسات دراسة (ابن السعدي ٢٠١٢)، والذي اهتم بدراسة منزلة السياسة الحيوية في الفلسفة السياسية المعاصرة: دراسة تحليلية، (سامية قدري، ٢٠٢٢) والتي اهتمت بعلاقة الحياة السياسية ومفهوم البيولوجيا السياسية والمفاهيم المرتبطة، من خلال تفكيك المفاهيم، كما اهتمت دراسة (Justaspatlk Aushas 2021) حول السياسة الحيوية الانعكاسية وبناء المعرفة التجريبية، والتي أشارت إلى حالة الحقل البحثي في مجال العلوم الإنسانية والعلم الاجتماعي، والتي تتعلق بمجال السياسات الحيوية خلال الـ ٢٠ عامًا، وأشار إلى أن الحالة الأكاديمية للدراسات المتعلقة بالسياسات الحيوية لا زالت تعاني من مشكلات وأطر نظرية مشتتة ومعطيات هشة، و في إشارة نظرية حول السياسات اهتم (Alexander j men’s, 2022) بمفهوم السياسة الحيوية لدى فوكو، مؤكدا على فكرة عقل الدولة أو الهيمنة باسم العقل .

ولأن مفهوم السياسة الحيوية يشتمل على تقاطعات متعددة بعضها معرفية وأخرى تتعلق بمناحٍ سلطوية، كما أن له جانبًا عمليًا وآخر نظريًّا.

يجدر بنا الإشارة هنا إلى أنه على الرغم من الإغراق في الاهتمام النظري بمفهوم السياسة الحيوية، إلا أن بعض الدراسات اهتمت بالبحث عن بعض الآليات والإجراءات التي قد ينعكس بها الوجه الإمبريقي والعملي للسياسة الحيوية، والكيفية التي أصبحت بها الحياة موضوعًا للسياسة، وذلك من خلال

منظور السياسة الحيوية، ففي دراسة (John Mc Mahon, 2017) والتي قدم بها مزيجًا من التوجه النظري للمفهوم، والبُعد الواقعي من منظور الفيلسوف السياسي "Esposito" حول السياسة الحيوية، وانصب اهتمام الباحث على حركات معاداة السود كأسس لفهم التنظير للسياسة الحيوية، واعتبار الحركات العنصرية ضد السود عنفًا سياسيًّا حيويًّا في العصر الحديث، واعتبرت الدراسة أن ذلك الأمر يعد لغزًا للسياسات الحيوية التي تتخذ منحنى عنصريًّا، وعلى المنوال ذاته دراسة أخرى (Lisa Eklund and Navtej Puewal, 2017) لاستخدام السياسة الحيوية في التحكم النوعي والسيطرة في بعض المجتمعات، أجريت الدراسة على المجمع الصيني والهندي، حيث استخدمت الدول سلطاتها لوضع سياسات تجرم الإجهاض، حيث إن الثقافة في المجتمعين تظهر ميلًا في تفضيل إنجاب الذكور والحد من إنجاب الفتيات، لذا فقد هدفت هذه الدراسة إلى تحليل السياسات التي اتخذت للتحكم في السكان من خلال السياسة الحيوية، وتجريم الإجهاض النوعي، والتي أظهرت فشلًا ولم تظهر نجاحًا لوجود عوامل ثقافية واقتصادية لا زالت تنتج تحيزات ضد إنجاب النساء.

وقد أظهرت الدراسات أن السياسة الحيوية لا تعد فقط سياسات حول حياة الأفراد، بل قد تكون هي في ذاتها مشروعًا اجتماعيًّا حيويًّا، وهذا ما أكدته دراسة (Joy. Y. Zhaug, 2021) في المجتمع الصيني أن الحضور والتواجد من خلال التفاعل مع الآخرين يمكن أن يسهم في تحديد السياسات الحيوية، وذلك من خلال اختيار الدراسة لدور حركة الطعام الجيد "Good Food movement"، وقدرتها على إعادة تشكيل روح الحكم في النظام الغذائي في المجتمع الصيني، ذلك المجتمع الذي يختلف عن المجتمعات الليبرالية الغربية، وأن هذه الحركة يمكن أن تسهم في إحداث تغير اجتماعي، من خلال السياسة الحيوية للحضور، والتي يمكن أن تمكن الفاعلين الاجتماعيين من تشكيل المعايير الاجتماعية والسياسية، وهذه الدراسة ألقت الضوء على بعد جديد، وهو أنه قد يكون للفاعلين الاجتماعيين دورٌ في رسم السياسة الحيوية أحيانًا.

وإن كان هذا التأثير غير فعّال دائمًا في اتخاذ تدابير سياسة تتعلق بالأفراد وصحتهم بشكل عادل وغير متحيز، وقد أشارت بعض الدراسات لوجود بعد عنصري أو طبقي أحيانًا، في السياسات الحيوية، ففي دراسة في الهند قام بها "Avilasha Ghosh" عن السياسات الحيوية التي تتبعها الحكومة الهندية خلال جائحة كوفيد-١٩، قامت الدراسة باختبار الاستراتيجيات المختلفة التي تقوم بها الحكومة المتحدة في الهند لمواجهة جائحة فيروس كورونا والآثار التي خلفتها، وكذلك تختبر بشكل نقدي المشكلات الاجتماعية والاقتصادية على المجتمع الهندي خلال الإغلاق الكامل، والكيفية التي يمكننا تصور ذلك من خلال منظور السياسات الحيوية، وقد ظهر الجانب الإمبريقي لدى الباحث، حيث استخدم الملاحظة الميدانية، وقام بتحليل التقارير الرسمية والبيانات المختلفة، وذلك بهدف التحليل النقدي للإغلاق الهندي من منظور السياسة الحيوية، وقد خلصت الدراسة إلى أن سياسة الإغلاق في الهند كانت مؤذية للأفراد أكثر من أن تكون حماية لهم، حيث كانت هذه السياسات ذات الهدف الصحي لها تأثيرات مختلفة على الجماعات المتعددة في المجتمع، تتمثل في تكلفة اجتماعية واقتصادية على المواطنين، كما أظهرت عدم العدالة الاجتماعية بالنسبة للفقراء، الأمر الذي يعد الجانب المظلم من السياسة الحيوية للحكومة الهندية. (Avilasha Gohsh, 2021) وليس جانبًا مظلمًا من السياسة الحيوية للحكومة الهندية فقط، بل يبرز هذا الجانب في كثير من المجتمعات.

كما أشار "فوكو" إلى وجود أبعادٍ عنصرية وخاصة في المستعمرات، وهنا يثار تساؤل منطقي مؤداه: أليس ذلك تحولًا للانتقال من الحياة إلى الموت؟ وهنا تختفي الحياة وترتفع رائحة الظلم والموت، هنا يظهر الوجه الآخر للسياسات الحيوية، ولا سيما في حالات الاستثناء والحروب، وتصبح للسياسات الحيوية في تلك الحالة وجه قبيح ظالم لبعض البشر، أولئك الذين أطلق عليهم أجامبين "الإنسان المستباح".

٢) حالة الاستثناء وانبعاث رائحة الموت:

عندما تعمل السياسة الحيوية على محاربة الخصوم، أو مهاجمتهم، وأحيانًا قتلهم، وتتخذ شكلًا له طابع عنصري من خلال استخدام السلطة الحيوية، ويتحول الهدف من تحسين الحياة إلى نفيها وتهميشها، هنا تظهر حالة الاستثناء، وتتحول من الاهتمام بجودة الحياة وإدارتها عند "فوكو"، إلى التركيز على الموت والاستبعاد والاستثناء، وهذا الوضع الذي يمكن تفسيره من خلال فكرة الحياة العارية عند "أجامبين" وفكرة الإنسان الحرام "homo`sacer" وفكرة الاستثناء التي بزغت من القانون اليوناني، والتي تعني أن الإنسان يمكن قتله، وهو ذلك الإنسان المستباح، ولا يتأتى ذلك من أسباب دينية أو مضمون ديني، بل من ظواهر سياسية قانونية "juridico-political phenomenon" التي تخلق مساحة من العنف المقدس "Divine violence"، حيث تستخدم السياسات الحيوية لإيجاد حالة الاستثناء ورفع القوانين، كما أشار "أجامبين"، والإنسان المستباح يظهر في حياتنا في عدة أمثلة، منها إجراء التجارب على السجناء في القرن العشرين، والتي اعتبرت الجسد الإنساني منفصلًا عن مكانته السياسية الطبيعية، واستبعاده من المجتمع السياسي، وأمثلة أخرى أشار إليها بعض الباحثين المعاصرين حول ممارسات تأجير الأرحام، كظاهرة تعكس الحياة العارية واستباحة الجسد الإنساني (Yanagihara Yoshie: 2021).

وتعد حالة الاستثناء ووجود الإنسان الحرام لدى جورجيو أجامبين حالة تماس بين السياسة والقانون، فهي تلك الحالة التي ترفع بها القوانين، الإنسان المستباح (Homo-Sacer) يشير في القانون الروماني إلى رجل ملعون مجرد من مواطنته، ويمكن قتله دون عقاب، ولكنه لا يتم التضحية به في طقس ديني، فقط هو موجود بصفته البيولوجية في "حياة عارية"، حياته ليس لها مغزى بالنسبة للحاكم، وكشيء دون درجة الآدمية، ينبغي إعالته بالمعنى الأكثر بدائية "أي بالطعام والماء والمأوى"، كما يجب إبعاده عن طريق النفي أو الاحتجاز عن الوجود الطبيعي للإنسانية في "حياة سياسية" Bios. (جورجيو أجامبين، ٢٠١٥: ٣١- ٣٢).

وفي العصر الحديث أظهر أجامبين وتلامذته أن تطبيق هذه الأفكار ليس بالأمر النادر الحدوث، حيث يرون أن حياة اللاجئين وعمليات التهجير القسري وكذلك حياة المخيمات، تنطوي على قدر عالٍ من أشكال تلك الحياة العارية، حيث قد توكل إدارة حياة المخيمات إلى وكالات الأونروا، والتي يقتصر تفويضها على تزويدهم بالحياة العارية، ولا يتضمن بالقطع الدفاع عن مصالحهم أو التدخل لحمايتهم، حيث إن المخيم- وبالقدر الذي يتم تجريد سكانه من حقوقهم السياسية- يصبح فضاءً بيوسياسيًا، يتم فيه فعليًا الخلط بين الإنسان المستباح المواطن (جورجيو أجامبين، ٢٠١٥: ٣٢).

وبهذا يصير التحكم من خلال الاستثناء لدى أجامبين هو سلطة فوق سلطة القانون، من خلال تعليق هذا القانون ذاته، أو ما يطلق عليه الإيوستيتوم "Iustitium"، وهو تعليق القانون على وزن "Solsitium"، وهي تعني **"توقف** الشيء عن الحركة"، وهنا تعني حرفيًا "توقف القانون أو تعليقه" كما استخدم المصطلح في روما. وأعاد أجامبين استخدامه (جورجيو أجامبين، ٢٠١٥: ١١٢)، وهنا يتحول جوهر السياسات الحيوية الموجهة للحياة عند أجامبين من خلال هذا التعليق للقانون وحالة الاستثناء، إلى الإخضاع للموت والإبعاد والاستباحة، ولذلك يركز أجامبين على "Zeo" أو بمفاهيم الفلسفة اليونانية "الحياة البدائية".

هذه الحياة والتي تتبدى بكامل صورها في حياة المستوطنات والمخيمات في المجتمع الفلسطيني، هذه الحياة العصيّة على البحث العلمي، هذا الشعب المقاوم الذي يحاول المستعمر أن يقهره ويحيله إلى تلك الحياة البدائية، ولكنه لا زال يقاوم، وتجابه تلك المقاومة بمزيد من القمع وتصعيد العنف، وكما أشارت دراسة لباحث إسرائيلي أن هذا الوضع الفلسطيني، وهذا القمع العنيف، هو قديم حديث بسبب تحييد المقاومة الفلسطينية باستمرار من قبل دولة إسرائيل، وهو الأمر الذي لن يحقق أي نتائج سياسية ملموسة، في ظل محاولات تدويل الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، وعدم القدرة على تغييره من خلال الحدود غير الواضحة بين الكيان

المحتل وفلسطين ومحاولات فلسطين للحصول على الاعتراف من خلال الانتفاضتين الأولى والثانية، والحاجة الملحة للتدخل الدولي، سواء في شكل ضغط على الكيان المحتل، أو في شكل قوات سلام (Ginberg Levluis: 2013).

يعد الصمت الدولي على آخر استعمار هو حالة استثناء عالمية في حد ذاتها، تتضمن رفع القوانين المتعلقة بحقوق الإنسان العالمية "كما سنشير لاحقًا"، وقد استخدم "الكيان المحتل" السياسات الحيوية للإماتة والإبادة، وذلك ليس مؤخرًا، بل هو عملية منظمة ومنذ أزمان بعيدة، وتم رصدها من خلال عدد من الدراسات على رأسها دراسة "لساري حنفي" محاولًا تفسير محاولات الإبادة المكانية "Spacio-Cide" في الأراضي الفلسطينية، من خلال فهم الاستعمار، والفصل، وحالة الاستثناء التي يعيشها الفلسطينيون، حيث تشير الدراسة إلى أن المشروع الاستعماري للكيان المحتل هو مشروع للإبادة المكانية (في مقابل الإبادة الجماعية) يهدف دائمًا للاستيلاء على الأراضي الفلسطينية، أي يحاول سلب السكان الفلسطينيين أماكن معيشتهم، مستخدمًا فكرة الإبادة المكانية كأيديولوجية متزامنة مع عمليات دينامية عقلانية موحدة وممنهجة، والذي يجعلنا نشير إليها على أنها سياسة حيوية تستخدم الاستثناء للسيطرة على أجساد وحياة البشر، ويرى "حنفي" أن هذه الإبادة المكانية تتحول إلى مشروع ضد الشعب الفلسطيني، وتستخدم فيها الأجهزة العسكرية والقضائية والمدنية من خلال ثلاثة أسس يتبعها هذا النظام وهي:

(١) مبدأ الاستعمار .Principle of Colonization

(٢) مبدأ الفصل Principle of Separation.

(٣) دولة الاستثناء State of Exception تلك الدولة التي تقع بين هذين المبدأين واللذين يظهران كمبدأين متناقضين وهما الاستعمار والفصل.

ويمكن تلخيص تلك الفكرة عند ساري حنفي في هذا الشكل:

Israel Power Matrix

مبدأ الفصل	حالة الاستثناء	مبدأ الاستعمار
Principle of Separation	**State of Exception**	**Principle of Colonization**
Deal with the state of terribery	**Deal with the control of Population**	**تظهر في ممارسات الحياة اليومية**
تتعامل مع دولة المستوطنات	**تتعامل مع التحكم في السكان**	

(Sari Hanafi: March 2013, p. 195)

شكل رقم (١): مصفوفة القوة الإسرائيلية

ويشير "حنفي" هنا إلى أن تلك الحكومة الاستعمارية تجعل الأفراد ينتقلون بواسطة السياسات الحيوية biopoliticis" مع استخدام حالة الاستثناء التي أشار إليها "Agambien" وتصبح أشكال القوة الاستعمارية مسيطرة على الأجساد وتحرم الأفراد من حقهم الاجتماعي والسياسي وحتى التاريخي، ويشير حنفي أنه عندما اجتاحت إسرائيل مخيم جنين عام ٢٠٠١ اقترحت "الأونروا" إعادة المخيم لحدوده القديمة، ولكن لم تضع عودة المهاجرين كحل رسمي، أما في حرب غزة عام ٢٠٠٨، فقد قتل ١٣٣٤ فلسطينيًا مقابل ١١٨ إسرائيليًا، كما دمروا ٤١٠٠ منزل تمامًا، و١١٧ ألف مبنى جزئيًا، وبهذا يتحقق جزء من أهداف الكيان المحتل (Sari Hanafi March, 2013: 190 - 205).

وباعتبار أن الحالة الفلسطينية تعد تطبيقًا نموذجيًا لحالة الاستثناء، واستخدام السياسات الحيوية بشكل سلبي، أظهرت دراسة أخرى عن دور عائلات الأسرى الفلسطينيين في مواجهة السياسات الحيوية الإسرائيلية، وما تمارسه قوات الاحتلال من اعتقالات سياسية للشباب الفلسطيني والزج بهم في السجون، وما يتجلى عن هذه الممارسات الاستعمارية الظالمة من جوانب نضالية لعائلات

الأسرى، ومحاولات تشتيت شمل الأسر، ما بين أسرى القدس، وأسرى الضفة الغربية، وأسرى قطاع غزة، وأسرى فلسطين المحتلة، والأسرى العرب، وكذلك أسرى الجولان المحتل، وقد خلص الباحث من خلال استخدامه مقابلة مفتوحة مع عائلات الأسرى، واعتمادًا على "النظرية المجذرة"، إلى أن النظام المحتل نظام عنصري يستخدم قوانين طوارئ، ويفرض "حالة الاستثناء" على أصحاب البلاد الأصليين، ويقوم بانتهاكات قانونية عدة، وفي مقابل هذه الممارسات أظهر الجانب الفلسطيني إرثًا نضاليًا كأهم آليات المواجهة، مما أسهم في ظهور سياسات حيوية من الجانب الفلسطيني من شأنها أن تسهم في عدم تحقق أهداف الاحتلال (فادي أبو بكر، ٢٠١٦).

واهتمام الدراسات بتطبيق حالة الاستثناء والإقصاء على أفراد المجتمع الفلسطيني لم يقتصر على ممارسة السياسات الحيوية العنيفة بشكل مباشر، بل أيضًا أفردت دراسة أخرى جل اهتمامها على السياسات الحيوية المستخدمة في ظل الإقصاء الطبقي والنوعي للنساء الفلسطينيات، في ظل السياق الاستعماري، والذي اتسم بالعنف أكثر منه محققًا للأمان، فقد أظهرت الدراسة من خلال استخدام السرديات التي قضتها ٥٠ سيدة من خريجي الجامعات لهن طبيعة بدوية، إنهن يشكلن طبقة غير مرئية يمارس ضدها منطق الإقصاء العنصري خلال حياتهن اليومية، بالرغم من اختراقهن سوق العمل اليهودي، كما أظهرت الدراسة أشكال عنف مخفية تمارس على أولئك النساء للحفاظ على تفوق الطبقة الاستعمارية في سوق العمل، وذلك من خلال استخدام السياسات الحيوية التي تتبع استراتيجيتين إحداهما فيزيقية ومباشرة، وأخرى غير مباشرة، من خلال التحكم والضبط، ومنها ما يتعلق بأماكن المستوطنات، وإيقاع الحياة، وكل ما يؤثر على الأمان لدى أولئك النساء (Sarab Abu and Rabia Queder, 2019).

ولكن كثيرًا من الدراسات لم تظهر الجانب الفلسطيني في ظل حالة الاستثناء المفروضة عليه، والسياسات الحيوية السلبية، كفاعل سلبي، وعلى الرغم من المحاولات الدائمة من الاحتلال بتحويله إلى الحياة العارية بمفهوم أجامبين،

أشارت بعض الدراسات إلى أن هناك دائمًا مجابهة ومقاومة تمارس من الجانب الفلسطيني على المستوى الفيزيقي والفكري لمجابهة هذه الممارسات، فأظهرت دراسة أخرى عن أثر البناء الفكري للمرأة الفلسطينية في مواجهة تحديات استراتيجية الإبادة للعدو الصهيوني، واعتبرت أن المقاومة كانت طريق لمحاربة الإبادة، وما عانت المرأة منه في أعقاب النكبة من تهجير وتشريد الملايين من النساء، والإجراءات التي اتخذتها قوات الاحتلال وتأثيرها على الأمن الجسدي، والنفسي والصحي والتعليمي والاقتصادي، والتي أشار إليها تقرير حقوق الإنسان أن (٤٨٤) امرأة رُحن ضحية العدوان الصهيوني عام ٢٠١٤، أو ما عُرف بعملية (الجرف الصامد)، مع العديد من الممارسات التي علقت بها القوانين الدولية، والتي تعد جميعها انتهاكات للقانون الدولي الإنساني، واعتبرت الدراسة أن المرأة الفلسطينية كانت هي الحارس والحامي والسبب في بقاء فلسطين في ظل محاولات الإبادة، وتحمل المرأة الفلسطينية ما يفوق القدرات البشرية (وجدان فريق عناد وستار الجابري، ٢٠٢١).

وبناء على ما سبق؛ تظهر الدراسات التي اهتمت بالحالة الفلسطينية ما يمارس ضدها من سياسات ومن استثناءات دائمة، سواء على مستوى الحياة في داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة، أو مخيمات اللاجئين، وأكدت بعض الدراسات أن كتابات أجامبين حول الحياة العارية تتجسد في شكل علاقات القوة التي تمارس ضد الشعب الفلسطيني خاصة العلاقات الاستيطانية في الضفة الغربية، وما يمارسه المحتل ضد أصحاب الأرض (Hashem Abu Shama, 2021).

وقد نوهت بعض الدراسات أن هذه الممارسات من الكيان المحتل، لم تهدف فقط إلى تحول حياة الشعب الفلسطيني إلى الحياة العادية، بل أيضًا إلى الإيذاء الجسدي المباشر كما أشار الطبيب "غسان أبو سنة" في كتاباته أن السياسة الحيوية الإسرائيلية سعت إلى تقسيم المجتمع الفلسطيني في غزة جسديًا ونفسيًا واجتماعيًا واقتصاديًا، وأنه بعد انحساب الإسرائيليين من قطاع غزة(*) لاحظ

(*) ملحوظة: في الحرب الأولى على غزة عام ٢٠٠٠.

أثناء علاج الجرحى أن الجيش الإسرائيلي ليس هدفه قتل الفلسطينيين، بل إيذاء الشباب، واستهداف أماكن في أجسادهم تجعلهم من ذوي الإعاقة مدى الحياة، بهدف خلق مجتمع فلسطيني غير قادر جسديًا، مجتمع غير قادر على العيش حياة عادية، وأن السياسة الحيوية الإسرائيلية تستهدف تفريغ فلسطين من حيويتها السكانية (غسان أبو سنة وآخرون، ٢٠٢١).

وحول هذه العلاقة الشائكة والمتشابكة بين الاستعمار الاستيطاني والسكان الأصليين، والخروج على كل القوانين الدولية والاستثناء الدائم للشعب الفلسطيني من مبدأ العدالة القانونية والدولية والإنسانية، أشارت إحدى الدراسات إلى استخدام الكيان المحتل السياسة الحيوية للاستعمار الاستيطاني من أجل تهويد القدس الشرقية، ومحاولة إنتاج الفلسطينيين في القدس كسكان مارقين يشكل وجودهم خطرًا على الأمن والنظام العام، وقد وجه هذا الكيان بمفهوم "فوكو" سياساته الحيوية لصياغة الخطط القومية، ورصد الميزانيات بغية التقليل من الأجساد التي تحسب على الفئات غير المرغوب في حياتها، وعلى النقيض من ذلك الاستثمار في تلك الأجساد التي يرغب في حياتها في محاولة للتحكم في المشهد الديموغرافي.

وهنا يقوم الكيان المحتل بإنكار الذوات الموجودة في الحيز المكاني، ويحاول أن يمحوها رمزيًا من المكان "وهي بالقطع الذات الفلسطينية"، ومحاولة التقليل من مكاناتهم وإنتاج تصنيف قانوني يصفهم بالمقيم المارق، ذلك المختلف مكانته عن مكانة المواطن، ويحقق المشروع الاستيطاني الاستعماري ذلك من خلال مبدأين مترابطين؛ أولهما مبدأ المحو ثم مبدأ الإحلال، وذلك باستخدام القوة الحيوية والإدارة البيو-سياسية للسكان، بل وإصدار قوانين استثنائية بهدف محو المشهد الفلسطيني من الحيز المستعمر، مقابل أن يحل المشهد السكاني ذو الطابع المهود إلى ذات المشهد المكاني (هنيذة غانم، ٢٠٢٣).

وربما تعجز التفسيرات النظرية الاجتماعية والسياسية على تفسير المشهد

الفلسطيني في ضوء المفاهيم العلمية مثل "السياسة الحيوية" و"السلطة الحيوية" "لفوكو"، أو ما يحمله أحيانًا من مضامين سلبية ورفعًا للقوانين و"الاستثناء"، وإيجاد نمط "الإنسان المستباح" عند أجامبين، ولكننا سنحاول الاقتراب من هذا الواقع في ضوء هذا الطرح النظري لاختباره، وإن عجزنا عن التفسير والتحليل، ربما يمكننا أن نحاول القفز للتأويل في ظل تحايل عالمي على القوانين الإنسانية.

سادسًا- السياسة الحيوية وحالة الاستثناء في الحرب على غزة (نتائج تحليلية):

إن الحرب الأخيرة على غزة "٢٠٢٣" هي النموذج المثالي لحالة الاستثناء التي تعلق بها القوانين، ولكن كما يشير "ساري حنفي" إن البداية ليست وليدة اللحظة، فإن هناك ٣٠ سنة من الانتهاكات اليومية للقوانين الدولية على أيدي القوات المحتلة والمستوطنين المسلحين، أولئك المستوطنون الذين يتضاعف عددهم يومًا بعد يوم.

ويرى "حنفي" أن العنف الإسرائيلي يتحدى بوحشية جميع القوانين الدولية والإنسانية، بل يتخطى وصف أجامبين عن "تعليق القانون"، فهناك في الحالة الفلسطينية إهدار للحياة، وهناك حرمان من المواطنة الفلسطينية، وهناك استمرار للوحشية من الكيان المحتل من واقع إحصاءات الأمم المتحدة ٢٠٠٨ وحتى أغسطس ٢٠٢٣، حيث قتل ١٤٠٧ فلسطينيين مقابل ٣٠٨ من الإسرائيليين، فقد اعتادت إسرائيل أن تحدد سعر صرف الإنسان الإسرائيلي بأكثر من ٢١ ضعف الفلسطيني، (ساري حنفي، ٢٠٢٣)، وتظل غزة التي مساحتها لا تتجاوز ٤٠ كم وعرضها حوالي ٨كم منطقة محتلة، ولكن العالم لا يخضع لمعايير القانون الدولي، ويغض الطرف عن ذلك، ويؤطر لخطاب الحرب الإسرائيلي وحق الدفاع عن نفسها، ويمكنها أن تقتل السكان الأبرياء، وتتحول الإبادة المكانية لإبادة جماعية.

ويؤكد "حنفي" على أنه لا يمكن البدء من ٧ أكتوبر ٢٠٢٣ لفهم ما يحدث

في فلسطين (ساري حنفي، ٢٠٢٣).

حيث أظهرت تلك الحرب الوجه الحقيقي لبعض متشدقي الحرية والعدل وحتى في أوساط المثقفين، حيث أشار الفيلسوف الألماني هابرماس الذي طالما أعجبنا بأفكاره في "١٣ نوفمبر ٢٠٢٣" أنه من المهم على الألمان الالتزام بحماية حياة اليهود وحق إسرائيل في الوجود، والدفاع عن نفسها، وحمل هابرماس حماس المسئولية لهجومها في ٧ أكتوبر، وأعلن مسئوليتها عن الأحداث الدموية في غزة تحت عنوان "Never again".

وإن كان هذا الأمر تم رفضه من كثيرين من أصحاب مدرسة فرانكفورت، مذكرين "هابرماس" بأن القوانين الدولية ترفض العقاب الجماعي أو الإساءة للبنية التحتية للمدنيين ووقع على هذا الخطاب الرافض لأفكار هابرماس أكثر من مائة عالم وباحث ومؤرخ (The Gurdian, 22 Nov. 2023).

وهنا نعود إلى واقع الحياة الفلسطينية والحرب على غزة "منذ ٧ أكتوبر ٢٠٢٣"، ونتحرك في عرضنا لهذه النقطة في ثلاثة محاور متوازية، وأولها هو المحور الفلسطيني والوضع في غزة عندما تكون الحياة العارية هي المأمول، وتظهر السياسات الحيوية السوداء"، وأما المحور الثاني فهو "سلطة الاحتلال وحالة الاستثناء اللاإنساني Iustitum" وأخيرًا المحور الثالث "العالم في مقاعد المشاهدين وميزان العدالة المختل.

المحور الأول: غزة عندما حياة الـ Zeo هي الأمل في ظل السياسات الحيوية السوداء "Black Bio politics":

أمام صمت العالم وعندما يتخطى الأمر حياة الـ Zeo، والحرمان من المأكل، والملبس، والحياة، والصحة، والمكان، والأمان، وكل مظاهر الحياة العارية Bare life التي أشار إليها أجامبين، وتتعلق السياسات الحيوية كلها بالسواد فيما أطلقنا عليه "Black Biopolitics"، أو السياسات الحيوية السوداء ضد الشعب الفلسطيني، التي تتخطى كل الخطوط الإنسانية، تلك السياسات التي تتعمد القتل،

والإيذاء، والتجويع، والحصار، وتصل إلى الإبادة الجماعية بعد الإبادة المكانية، ويظهر ذلك في نقاط عديدة منها:

(١) استهداف منظومة الصحة والأجساد:

يعد استهداف منظومة الصحة والأجساد أقصى أنواع السياسات البيولوجية والصحية سوادًا، وحسب ما أعلنت وزارة الصحة الفلسطينية أن حصيلة العدوان الإسرائيلي وصلت إلى ٤٥,٣٩٩ شهيدًا و١٠٧,٩٤٠ إصابة منذ السابع من أكتوبر عام ٢٠٢٣، وأكدت وزارة الصحة على الاستهداف الدائم للاحتلال للمنظومة الصحيّة في شمال غزة، وذلك لحصاره واستهدافه المباشر للمستشفى الإندونيسي، ومستشفى كمال عدوان، ومستشفى العودة، وإجبار الجرحى والمرضى على إخلاء المستشفيات، وقد توالت تقارير وزارة الصحة اليومية للأعداد المتزايدة والمجازر اليومية في حق الشعب الفلسطيني (وزارة الصحة الفلسطينية، ديسمبر ٢٠٢٤)، حيث كانت الأجساد الفلسطينية هدفًا مباشرًا للقنص والقتل، وأعلنت وزارة الصحة بغزة تقارير يومية عن ارتقاء العشرات والجرحى، وعن مجازر جديدة في كل قطاعات غزة، وكذلك عن دمار كبير وشامل بمحيط المستشفيات، وذلك منذ بدء الاحتلال القصف، بل كان ولا زال الاحتلال يطلب إخلاء المرضى والأطفال كما حدث لإخلاء الأطفال في مستشفى الرنتيسي تمهيدًا لقصفه، وتدمير محيط مستشفى القدس في حي تل الهوا غرب غزة، وعدم توفير ممرات آمنة لوصول المساعدات الطبية، أو توفير الدماء (شبكة قدس الإخبارية، الثلاثاء ٧ نوفمبر ٢٠٢٣، نبض).

وقد أعلنت وزارة الصحة الفلسطينية في ذات اليوم بأن الممرات الآمنة أصبحت ممرات موت، وطالبت الأمم المتحدة والصليب الأحمر بحماية المستشفيات والإسعاف (وزارة الصحة الفلسطينية، نوفمبر ٢٠٢٣).

ولم يكتفِ الاحتلال بالقتل المتواصل، بل قام كذلك بمحاصرة الطواقم الطبية والمستشفيات بالدبابات، كما حدث وحوصر أكثر من ١٠٠ من المرضى

والطواقم الطبية في مستشفى الحلو بمدينة غزة، في استثناء لكل القوانين الدولية. (شبكة قدس الإخبارية، ١٤ نوفمبر ٢٠٢٣، الساعة ٩,٣٠ صباحًا).

بل أصبحت ساحات المستشفيات مقابر جماعية، كما صرح وكيل وزارة الصحة في غزة "يوسف أبو الريشي" للجزيرة أنهم أصبحوا يقومون بعمل مقابر جماعية في ساحة مستشفى الشفاء في ظل المخاطر العالية وتحليق الطائرات المسيرة، حيث لم يعد مقبولًا أن تبقى الجثامين في الساحات لتنهشها الحيوانات والديدان، لذلك قرروا دفنهم بعد فشل إخراجهم (شبكة القدس، ١٤ نوفمبر ٢٠٢٣)، وقد أعلن مدير مستشفى الشفاء أن ١٧٩ جثة دفنت في قبر جماعي، وقد برر الجيش الإسرائيلي في كثير من الأحيان أفعاله الإجرامية والاعتداء على المستشفيات بأن حماس تستخدم المستشفيات كموقع عسكري (قناة يورونيوز، ١٤ نوفمبر ٢٠٢٣)، وقد صرح طبيب أمريكي (يهودي أمريكي) زار غزة أثناء المجازر في الأسابيع الأولى على قناة الجزيرة الوثائقية أن كل الكوارث التي رآها مجتمعة خلال ٣٠ عامًا في أكثر من ٤٠ مهمة ومناطق اشتباك وزلازل، لا يضاهي ما يراه في غزة، لأنه شاهد استهداف الأطفال وتمزيقهم، وقنصهم أكثر من مرة للطفل نفسه، مما يؤكد عدم الخطأ (الجزيرة الوثائقية، ٢٥ نوفمبر ٢٠٢٤).

ولم يستهدف الاحتلال الأطفال والأطباء والمرضى فقط، بل في سياسات أقل من أي حياة بدائية لا إنسانية استهدف الاحتلال جثث وجثامين الشهداء، فنبش مقبرة بخان يونس، وسحب جثامين الشهداء في مستشفى الشفاء، وإرجاعهم في مقبرة جماعية في عدم احترام لقدسية الموتى (قناة الجزيرة فلسطين، الثلاثاء ٢١ نوفمبر ٢٠٢٣)، كذلك ترك الاحتلال الجثامين في العراء لعدة أيام، كما أعلنت وزارة الصحة ببقاء ١٥٠ جثمانًا في ساحة بمجمع ناصر الطبي بسبب الحصار (قناة يورونيوز، السبت ٢٠٢٤/١/٢٧)، ويبدو أن هذه الإصابات المروعة التي أشار إليها الأطباء دعت حماس للمطالبة بتشكيل لجنة تحقيق دولية تحقق في استخدام إسرائيل لأسلحة تؤدي إلى تبخر الأجساد من

خلال الشهادات المروعة للأطباء في شمال غزة (قناة روسيا اليوم، السبت ٣٠ نوفمبر ٢٠٢٤، الساعة ١١ مساءً)، وتزامن ذلك مع صور وفيديوهات عديدة صورت أطفالًا مبتوري الأقدام والأيدي، ومنها فيديو لطفل يستخدم حذاء تزلج للتحرك بلا أقدام (الجزيرة فلسطين، ٦ ديسمبر ٢٠٢٤، صباحًا).

وقد منع الاحتلال أيضًا الطعام وليس العلاج فقط عن المرضى والجرحى والطواقم الطبية، كما فعل في مستشفى كمال عدوان، وصرح بذلك د. حسام أبو صفية مدير المستشفى قبل اعتقاله، وكما صرح أحد الصحفيين (Anas Jamal 144, Instagram) (٢١ ديسمبر ٢٠٢٤ الساعة ٤ صباحًا)، وأصاب الاحتلال واستهدف د. محمد صالحة مدير مستشفى العودة في مخيم جباليا (٢٨ ديسمبر ٢٠٢٤، Anas Jamal 144)، وقد وصل عدد الأطفال حتى ٢٤ يونيو ٢٠٢٤ الذين دفنوا تحت الأنقاض أو مقابر جماعية بغزة حسب أحد التقارير الدولية حوالي ٢١ ألف طفل (صحيفة اليوم السابع، ٢٤ يونيو ٢٠٢٤، ١٢ مساءً).

وبلغ عدد الأطفال الرضع الذين استشهدوا حوالي ٨٢٥ طفلًا (شبكة قدس الإخبارية، السبت ٩ نوفمبر ٢٠٢٤، الساعة ٩ مساءً).

وفي ظل حصار المستشفيات والطواقم الطبية، رصدت القنوات الإخبارية شهادات مروعة، منها ما ارتبط بحصار مستشفى كمال عدوان، وما تم من إجرام ورفع القانون، وما تم من إعدامات ميدانية واعتقالات، ومنها ما ذكرته إحدى الباحثات "بترت قدمي جراء القصف، ولكني بقيت بلا علاج ولا أدوية داخل المستشفى"، وكذلك ما قاله آخر: "أجبروني على خلع ملابسي، واعتقلوا معظم الكوادر الطبية والمرافقين"، ويشير آخر إلى أن الأمر كان "كأنه مشهد من يوم القيامة، حاصرونا بالدبابات والقصف وبقينا بلا طعام أو ماء" (صحيفة القدس، الخميس ٣١ أكتوبر ٢٠٢٤، ٣ مساءً)، وفي ظل منع الطواقم الطبية والإسعاف من الدخول إلى غزة، ظهرت شوارع غزة في وضع أقل من الحياة البدائية العارية، ففي مشهد مؤلم.. أظهر أحد الفيديوهات قطط الشوارع تنهش أجساد الشهداء بعد منع الإسعاف والطوارئ من أداء مهامها (المركز الفلسطيني

للإعلام، السبت ٢ نوفمبر ٢٠٢٤، الساعة ٨ مساءً).

ولو لخصنا نطاق ممارسات الاحتلال فيما يتعلق بالقطاع الصحي والمرضي في نقاط، يمكن تمثيلها فيما يلي:

(١) استهداف الأطفال وقنصهم وتعمد إعاقتهم أو قتلهم، حتى الرضع والمواليد منهم، وشهد العالم كله فصل الكهرباء عن الأطفال الخدج في الحضانات.

(٢) أكثر من ٧٠٪ من القتلى من النساء والأطفال.

(٣) محاصرة المستشفيات بالدبابات وقصفها، والادعاء باستخدامها في أغراض عسكرية بدون دلائل فعلية.

(٤) استهداف الطواقم الطبية والإسعاف وقتل عدد منهم.

(٥) إتلاف الدواء، ومنع وصوله والطعام للمرضى والجرحى.

(٦) اعتقال بعض الطواقم الطبية.

(٧) تحول ساحات بعض المستشفيات لمقابر جماعية بسبب عدم السماح بدفن أجساد الشهداء.

(٨) استخدام أسلحة تبخر الأجساد بناء على شهادات بعض الأطباء.

(٩) نبش المقابر الجماعية والتنكيل بأجساد الشهداء.

(١٠) إعدامات ميدانية في بعض المستشفيات.

(١١) عدم احترام أجساد الموتى ومنع دفنها وتركها تنهشها الحيوانات.

(١٢) الممرات الآمنة للإسعاف والطواقم الطبية هي ممرات موت.

هذه بعض النقاط البسيطة والتي لا تمثل شيئًا من الواقع المؤلم، وهي من خلال شهادات الشباب والمواقع الإخبارية داخل غزة الذين نقلوا الصور حية للعالم كله، ولأنه يبدو في هذه المرحلة أن الإنسان الفلسطيني لم يكن له ثمن أمام

السياسات الهمجية للاحتلال، فإن حصار غزة تخطى كل الحدود الإنسانية، حيث مُنعت أساسيات الحياة من المأكل والملبس والشراب، وكما أظهرت شهادات الشعب الفلسطيني.

(ب) أشكال التماهي بين الإبادة المكانية والجماعية (عندما تصبح الحياة العارية طموحًا):

لقد حولت إسرائيل فكرة الـ bare life التي كانت تبدو فكرة وهمية لا يمكن تحققها في العصر الحديث بهذا الشكل، إلى واقع يتخطى كل خيالات البشر وأصبح الإنسان الفلسطيني هو الإنسان المستباح "homosacre" الذي انقطع عن كل وسائل الحياة الحديثة والحرمان من أساسيات الحياة ومنها:

(١) الطعام والشراب: حيث شوهدت فيديوهات لأهالي قطاع غزة يلجأون إلى طرق بدائية لتحضير الخبز إن وجد الطحين، بسبب أزمة الوقود، وأصبحت المخابز تتساقط الواحدة تلو الأخرى، وأصبحت غزة بلا وقود أو مياه نظيفة أو طعام، وأصبحت الحياة في غزة أقل من البدائية (شبكة قدس الإخبارية، الثلاثاء ٧ نوفمبر ٢٠٢٣، الساعة الثالثة مساءً).

واعتبرها العالم حرب تجويع ضد غزة، ومنع وصول المساعدات العالمية، فأصبح الجو والقتل متلازمين، وأصبحت مواقع التواصل الاجتماعي مملوءة بفيديوهات عن جوع أهل غزة، فيظهر فيديو طفلًا يتحدث عن جوعه، وأنه ينظف علف الحيوانات من الدود والحشرات ليأكله (Anas Jamal44: الجمعة ٢٠٢٤/١/٢٦، ٧ صباحًا)، ولا فقدان طعام وجوع فقط، بل موت وفقدان المكان والأمان.

(٢) المسكن والأمن والتهجير: فالاحتلال ينفذ غارات متواصلة على شمال ووسط قطاع غزة، ويدمر المنازل، مما يفقد الغزيين مسكنهم أيضًا، في شكل من أشكال الإبادة المكانية، ويتجهون إلى النزوح الإجباري في الخيام والنوم في البرد على (المشمع)، مع استمرار الغارات على كل قطاع غزة

من خان يونس إلى طولكرم وغيرها. (شبكة قدس الإخبارية، ١٤ نوفمبر ٢٠٢٣، الساعة ٩ مساءً).

وتزامن مع هذا الوضع حالة الطقس وغرق خيام النازحين في مناطق متفرقة من قطاع غزة بفعل الأمطار، بل وموت الأطفال الرضع من شدة البرد (صحيفة القدس: ٢٧ يناير ٢٠٢٤، الساعة ٧ صباحًا).

(٣) الاعتقال والاغتيال: ولم يكتف الكيان المحتل بفقدان السكن والجوع والقتل، بل توازت تلك الأفعال مع حملة اعتقالات أشارت إليها هيئة شئون الأسرى والمحررين، حيث استمرت قوات الاحتلال في حملة اعتقالات على جميع المحافظات (شبكة القدس، ١٤ نوفمبر ٢٠٢٣، الساعة ٩ مساءً).

واستمرارًا للممارسات اللاإنسانية، حدث أفظع أنواع جرائم الحرب من القتل غير المبرر، فأظهر فيديو متداول قيام الاحتلال بوضع المساعدات أمام الدبابات، وعندما قفز الجوعى لالتقاط الطحين أمام آلات الموت تحركت الدبابات وقتلت ودهست ما يقارب من ١٥٠ شهيدًا مرة واحدة على مرأى ومسمع من العالم كله. (الجزيرة مصر، ٢٩ فبراير ٢٠٢٤).

(٤) منع المساعدات العالمية: وفي ظل هذه الأوضاع اللاإنسانية التي تسبب بها الكيان الصهيوني، اتهمت إسرائيل موظفي الهيئة التابعة للأمم المتحدة من وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطيني "أونروا" بالضلوع في هجمات حماس ٧ أكتوبر، وفي ضوء ذلك علقت كندا وفنلندا، وكذلك ألمانيا وإيطاليا وأستراليا تمويل الأونروا لغزة (قناة الحرة، السبت ٢٧ يناير ٢٠٢٤)، وكأن هناك حالة من التواطؤ العالمي في وجه شعب يعاني من الإبادة والجوع والبرد، ويعاقب من العالم كله، هذا ما يحدث عندما يكون الجاني هو القاضي، الأمر الذي عقب عليه المفوض العام للأونروا بقوله: "لم يكن الفلسطينيون مليوني شخص في غزة يعتمدون على المساعدات الحيوية التي فقدتها الوكالة منذ بداية الحرب" (صحيفة القدس، السبت ٢٧ يناير

٢٠٢٤)، وفي إطار هذا التوجه اللاإنساني استهدف المستوطنون اليهود المساعدات التي تمر عبر الضفة الغربية إلى غزة (صحيفة القدس، ٢٧ مايو ٢٠٢٤ الساعة الثالثة ظهرًا)، وتزامن ذلك مع انتشار المجاعة، وعدم وصول المساعدات في غزة، وارتقاء الأطفال بسبب سوء التغذية (شبكة قدس الإخبارية، ٢ يونيو ٢٠٢٤، ١٢ مساءً).

وكل ذلك بالتوازي مع القتل غير المبرر، فالغارات اليومية على الخيام ومدارس النازحين لم تتوقف، واعتبر اليونيسف أن كل ركن من أركان غزة مقبرة للأطفال، مع وجود ما لا يقل عن ٥٠ ألف طفل متأثرين بسوء التغذية الحاد في غزة، وأنه لا ينبغي أن يدهس أي طفل حتى الموت ينتظر في طابور للحصول على قطعة خبز، أو يحتمي في خيمة مؤقتة، أو يُقتل بغارة جوية. (إدوارد بيجيدر، المدير الإقليمي لليونيسيف في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، ٩ ديسمبر ٢٠٢٤، يونيسف دولة فلسطين) www.unicef.org. كما أشارت اليونيسيف أيضًا إلى انهيار الخدمات، ومرافق المياه، والصرف الصحي، والمياه الصالحة للشرب، وأصبح فيروس شلل الأطفال في قائمة التهديدات، فقد قتل ما لا يقل عن ١٤ ألف طفل تبعًا لوزارة الصحة الفلسطينية (اليونيسيف، دولة فلسطين، ٩ ديسمبر ٢٠٢٤) www.unicef.org.

(٥) تدمير البنية التحتية: وإمعانًا في محو كل مظاهر الحياة، فقد قام الاحتلال بتدمير أكثر من ٣٠٠,٠٠٠ من الوحدات السكنية المتضررة، ودمر كليًا ٦٠,٣٦٨ وتدمير ٨٢٣ مسجدًا (الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، ٢٠٢٤)، www.pcbs.gov.ps.

فيما أشار مركز الأمم المتحدة للأقمار الاصطناعية إلى محو ٥٥٪ من مباني قطاع غزة، أو تعرضها لأضرار منذ أكتوبر ٢٠٢٣ (شبكة القدس، ٣ يونيو ٢٠٢٤، الساعة الثانية ظهرًا).

(٦) الفلسطينيون دروع بشرية: ولقد تجلت مظاهر الاستباحة للإنسان

الفلسطيني في أبشع صورها حينما قام المحتل باستخدام الأسرى الفلسطينيين كدروع بشرية يضعونهم على مقدمات الدبابات كما حدث مع أسير من غزة الذي استخدم كدرع بشري لمدة ٤٠ يومًا، وفقًا لشهادة الشاب (م د) ٢١ عامًا من غزة، والتي أدلى بها لهيئة شئون الأسرى والمحررين (صحيفة القدس، الخميس ٥ أغسطس ٢٠٢٤، الساعة ٢ صباحًا).

(٧) قصف مدارس اللاجئين: وفي مشهد بات اعتياديًا، يقوم الجيش المحتل بقصف المدارس المكتظة باللاجئين العزل أكثر من مرة، منها مدرسة "رفيدة" في دير البلح وسط قطاع غزة، وبحسب مصادر محلية خلَّف القصف عشرات الضحايا أغلبهم من النساء والأطفال (قناة روسيا اليوم، ١١ أكتوبر ٢٠٢٤، فيديو مصور الساعة ٩ مساءً). كذلك مجزرة أخرى في مدرسة "أسماء" بمخيم الشاطئ (قناة الغد، ١٩ أكتوبر ٢٠٢٤، الساعة ٧ مساءً، فيديو مصور)، حيث استهدفت إسرائيل ١٦ مدرسة إيواء في غزة خلال شهر واحد، إمعانًا في جريمة الإبادة الجماعية (المرصد الأورومتوسطي: ٨ سبتمبر ٢٠٢٤) euromedamonitor.

وهكذا عومل الإنسان الغزاوي، ففي عملية عسكرية للمحتل بمساعدة أمريكية، حاولت القوات المحتلة تحرير ٤ من الرهائن في مخيم النصيرات في يونيو ٢٠٢٤، وقتل بها مئات المدنيين الفلسطينيين، الأمر الذي أعلنت الأمم المتحدة ذاتها أنه يخرج خارج نطاق قوانين الحرب، وهنا كان تعليق القوانين على مرأى من العالم، ولم يرد إلا اعتراضات شفهية، فيشير المتحدث السامي باسم الأمم المتحدة لحقوق الإنسان: إننا نشعر بصدمة عميقة جراء تأثير العملية التي نفذتها القوات الإسرائيلية في مخيم النصيرات، وأكد على إدانة العملية الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيوغوتيرش (موقع الأمم المتحدة، ١٢ يونيو ٢٠٢٤، الساعة ٩ صباحًا) .(https://bit.ly/https:news.un.org)

(٨) قتل موظفي الأمم المتحدة: لم يسلم خلال ذلك حتى موظفي الأونروا، فقد

أعلن المفوض العام للأونروا أن ٢٠٠ من موظفي الأونروا قتلوا في غزة خلال عمليات الإغاثة. (صحيفة القدس، ١٧ أكتوبر ٢٠٢٤) مما يصدق مقولة أونروا باعتبار غزة جحيم على الأرض، وأشكال الحياة العارية والبدائية لم تتضمن فقط القتل، والاغتيال، والاعتقال، والجوع، والعطش، ومنع أساسيات الحياة، بل حاول الاحتلال أيضًا قطع الصوت وإخراسه، والانقطاع عن العالم، وذلك من خلال تعمد قتل الصحفيين، بل واغتيال أسرهم أيضًا، لمنع نقل الصورة التي تتخطى كل القوانين الإنسانية، فيما اعتبرته هيومن رايت ووتش جريمة إبادة جماعية، تتضمن فرض ظروف معيشية لإنهاء حياة السكان، والحرمان من الحد الأدنى من بقاء الإنسان على قيد الحياة، كما قالت تيرانا حسن المديرة التنفيذية لهيومن رايت ووتش. (هيومن رايت ووتش، ١٩ ديسمبر ٢٠٢٤، ١٢ صباحًا) www.hrw.org.

(٩) **الاعتقال والتعذيب:** فيما اعتبرت الحالة الصحية التي يخرج بها المعتقلون الفلسطينيون من سجون إسرائيل، والتي اعتبرت قبورًا للأحياء، وتعكس تعذيبًا وتجويعًا ممنهجًا، وأنها تضمنت أيضًا اعتقال وتعذيب صحفيين، لمجرد ممارسة حقهم في حرية التعبير والصحافة (المرصد الأورومتوسطي لحقوق الإنسان: ١ فبراير ٢٠٢٤). euromedonitor.org

(١٠) **محاربة الصحفيين:** وقد رصد المرصد الأورومتوسطي وجود أكبر حصيلة لموت الصحفيين، واغتيل الصحفيين بشكل متعمد، حتى إن إحدى المراسلات في قناة الجزيرة - وهي فلسطينية - نطقت الشهادة في آخر فيديو، وذكرت أن أقصى أمانيها ألا تمزق لأشلاء، وبعدها استشهدت (الجزيرة مصر، ٢٢ نوفمبر ٢٠٢٣). وهي عمليات ممنهجة ومستهدفة، فقد استهدف الاحتلال سيارة بث لقناة القدس أمام مستشفى العودة، ومقتل ٥ صحفيين وتفحم أجسادهم (شبكة قدس الإخبارية، ٢٩ ديسمبر ٢٠٢٤، ١٢ ظهرًا). واستهدف الاحتلال أيضًا أُسر الصحفيين، ففي مقابلة تليفزيونية لوائل الدحداح - مراسل الجزيرة - تحدث عن فقد واستشهاد ١٤ شخصًا

من أسرته، وأن عليه أن يكون وفيًا لدماء أبناء شعبه (قناة الجزيرة، مقابلة وائل الدحداح، ١٥ ديسمبر ٢٠٢٣).

ولم يتحسن الوضع في غزة، واستمر من سيئ إلى أسوأ، حتى تم قبول الهدنة الأولى يوم ٢١ نوفمبر ٢٠٢٣ بين الكيان المحتل وحماس، والتي أطلق بها ٥٠ رهينة من إسرائيل، مقابل ١٥٠ من نساء وأطفال فلسطينيين ودخول بعض الشاحنات. (الجزيرة مصر، ٢١ نوفمبر ٢٠٢٣)، ولكن ما انتهت الهدنة وحتى أظهرت إسرائيل وجهًا أكثر شراسة وقبحًا ولاإنسانية.

إن ما تم عرضه هي نماذج قليلة لما تعرض ويتعرض له سكان غزة من محاولات الإبادة الجماعية، والمكانية، والنزوح الإجباري، ومن حرمان من أساسيات الحياة التي تتخطى حياة الـ Zeo أو الإنسان البدائي، وذلك على مرأى ومسمع من العالم، يحرم ملايين البشر من المياه، والطعام، والسكن، والأمن، ويتعرضون للاعتقال والاغتيال والإعاقة المتعمدة، في ظل تعليق القوانين الدولية في حالة استثناء دامية وسياسات حيوية سوداء. وننتقل هنا إلى الجانب المحتل وحالة الاستثناء اللاإنسانية، ورفع القوانين لممارسة العنف والقتل.

المحور الثاني: الاحتلال وحالة الاستثناء اللاإنسانية (الداخل الإسرائيلي):

شهد الموقف في غزة حالة فريدة من الاستثناء، حيث علقت القوانين، لا القوانين الوضعية فقط، بل كل القوانين الإنسانية، فكما أشرنا من قبل شهد الوضع في غزة سياسات بيولوجية سوداء تستهدف الأجساد من أجل القتل والتصفية العددية، والإيذاء البدني، وتعمد الإعاقة للأطفال والشباب والتمثيل بالجثث، وعدم احترام الموتى والمرضى، وقتل الأسرى والمتعقلين، مع خلق ظروف لا إنسانية، ولا تصلح للحياة البشرية البدائية، وانعكس ذلك على عدد من الممارسات منها:

[١] سياسة المحو والإحلال: هذا الاستثناء اللاإنساني وتعليق القوانين خرج من حكومة احتلال يعترف بها العالم، في مقابل عدم الاعتراف بالكيان الشرعي

الذي يتعرض للاحتلال في مشهد عالمي معكوس ومتناقض سنشير له لاحقًا. وهذا الاستثناء اللاإنساني، كان يقابله دعوات أكثر لاإنسانية من الداخل الإسرائيلي، ومحو لكل الاتفاقيات القانونية السابقة، كأن هناك انتظارًا لـ ٧ أكتوبر وهجوم حماس، لتكن نقطة البدء لرفع كل القوانين، وإعلان حالة الاستثناء في بادرة تبدو أنها تستهدف إحداث ما أشارت إليه إحدى الدراسات السابقة حول سياسات الكيان المحتل، وهي اتباع سياسة المحو ثم الإحلال، فكان الهدف هو محو الجسد الفلسطيني من المكان والوجود، والإحلال المهود الاستيطاني، ولهذا فقد شهد الداخل الإسرائيلي في بداية الحرب على غزة اتفاقًا ضمنيًا على هذه الحرب بهدف معلن هو استعادة الأسرى، وهدف ضمني هو المحو والإحلال. وفي البدء كانت هناك محاولات إظهار أن ما يحدث دفاع عن النفس، ومحاولات لنقل صورة مغلوطة تبناها الإعلام الغربي ذاته.

وإن كان الداخل الإسرائيلي وحتى الكنيست شهد انقسامًا بين القوة والتفاوض، وكان من مقترحات القوة أن يصدر قانون لإعدام المخربين، وهو مقترح لـ "بن غفير" الوزير الإسرائيلي المتطرف، واعترض آخرون على هذه القوانين المقترحة والاستثنائية التي اعتبروها لن تحقق الأمن المنشود للكيان المحتل (الجزيرة فلسطين، ٢١ نوفمبر ٢٠٢٣، فيديو)، مع طول أمد الحرب واشتدادها، بدأت عائلات الأسرى تحتج وترفض الحرب، وتطلب التفاوض، وتطالب إسقاط نتنياهو (شبكة قدس الإخبارية، ٢٥ ديسمبر ٢٠٢٤)، وذلك ليس بدافع إنساني، بل بدافع المصالح الذاتية، حيث انتشرت فيديوهات على مواقع التواصل التي تدعو إلى قتل الأطفال الفلسطينيين، لأنهم سيقتلون كل الإسرائيليين، بالإشارة إلى أنه لا يجب أن تأخذنا بهم رحمة (V.VEED, Instagram video 25/12/2023, 5 pm).

وهذه الحالة الاستثنائية من الاستثناء اللاإنساني اقتضت أن تصدر محكمة العدل الدولية قرارًا يطلب من إسرائيل أن تتخذ جميع التدابير، لمنع الأعمال التي تتعارض مع الإبادة الجماعية، وقتل الفلسطينيين والتدمير، وإيصال الخدمات الأساسية والمساعدات الإنسانية بشكل عاجل، وقد أعلنت القرارات بأغلبية ١٦ صوتًا (س إن إن بالعربية، ٢٧ يناير ٢٠٢٤، الساعة ١٢ مساءً).

وإن كانت صيغة القرار موجهة للجاني لاتخاذ إجراءات تمنع الإبادة وإعمال القانون، إلا أن الرد الإسرائيلي كان متعجرفًا كالعادة، مغلفًا بدعم أمريكي، فصرح وزير الأمن القومي الإسرائيلي المتطرف، على ذلك القرار الضعيف بقوله: إن علينا ألا نستجيب لأوامر محكمة لاهاي، فهي تهدد استمرار قيام دولة إسرائيل (صحيفة القدس: ٢٧ يناير ٢٠٢٤). بل قام الكيان الإسرائيلي بقصف عنيف ومتواصل على أكثر من مكان في غزة في اليوم ذاته، وقتل وأصاب أكثر من مئة فلسطيني خلال فترة أقل من ٢٤ ساعة (صحيفة القدس، السبت ٢٧ يناير ٢٠٢٤). وأكد نتنياهو في اليوم نفسه أننا مستمرون بالحرب مهما طال الوقت، فأنا أحارب حماس، وأنتم تحاربوني نحن نحارب حربًا مفروضة علينا وأخلاقية.

بل ويتخذ الكيان المحتل إجراءات عقابية ضد دولة جنوب إفريقيا التي قدمت الدعوة ضد إسرائيل لمحكمة العدل، ولذا قامت شركة العال الإسرائيلية بتقييد رحلاتها إلى جنوب إفريقيا، واعتبرت إسرائيل أن هذا القرار الذي اتخذ يضع كثيرًا من الضغوط على إسرائيل وحلفائها (قناة Dw العربية، ٢٧ يناير ٢٠٢٤).

[٢] التحايل على محاولات التهدئة وتعليق القوانين: تزامن ذلك مع تصريحات عدائية تجاه أي وساطة لإيقاف الحرب، أو عمل أي هدنة في تلك المرحلة، فنجد تصريحات على القنوات الإسرائيلية نقلًا عن مسئولين إسرائيليين أن إسرائيل لا تثق بدور المخابرات المصرية في التوسط في مفاوضات الهدنة في غزة (القناة ١٢ الإسرائيلية، ٢٧ يناير ٢٠٢٤، الساعة ٣ مساءً)، وتماشى ذلك مع تصريحات هيئة البث الإسرائيلية في تحدٍ صارخ لكل

العالم أن إسرائيل ترفض فكرة وقف إطلاق نار دائم قبل تدمير قدرات حماس العسكرية والحكومية (صحيفة القدس، ٢ يونيو ٢٠٢٤، الساعة الثانية عشر صباحًا)، بالرغم من مناشدات الأمم المتحدة لدول العالم أن يستخدموا كافة الموارد السياسية والدبلوماسية في سبيل التوصل إلى وقف إطلاق نار فوري في غزة، والاعتراف بدولة فلسطين (موقع الأمم المتحدة، ٣ يونيو ٢٠٢٤، ٩ صباحًا). http://news.un.org

أصدر مجلس الأمن قرارًا جديدًا يعتمد وقف إطلاق النار بين إسرائيل وحماس، وذلك تزامنًا مع مصرع ١٣٥ موظفًا تابعًا للأمم المتحدة في غزة عام ٢٠٢٣، والتعنت الإسرائيلي والإصرار على عدم الإذعان للقانون الدولي (موقع الأمم المتحدة، ١٢ يونيو ٢٠٢٤، ٨ صباحًا) http://news.un.org. بل تزايد التمرد الإسرائيلي ودعوات العنف الداخلية، حيث يدعو وزير المالية الإسرائيلي اليميني المتطرف إلى سحل جثث عرب الداخل المحتل في يوم قرار مجلس الأمن نفسه (صحيفة القدس، ١٢ يونيو ٢٠٢٤، ٨ صباحًا).

وبالفعل فإن الوضع في داخل فلسطين المحتلة، وفي عدم وجود حماس التي تذرع الكيان المحتل بأنها هي من اعتدت كان سيئًا للغاية، وكانت حالة الاستثناء وتعليق القانون في التعامل مع أهل فلسطين من الداخل المحتل والضفة الغربية، حيث الاعتقال والقتل والفصل العنصري وتدمير الممتلكات فيما يمكن اختصاره في أرقام حتى ٩ نوفمبر ٢٠٢٤:

وضع الضفة الغربية والداخل المحتل في أرقام:

- ٨١١ شهيدًا.
- ٥٧٥٥ جريحًا.
- ١٣١٣٣ حالة اعتقال.
- ١٣٥٨٥ حاجزًا بين ثابت ومتنقل.

- ٤٩٦٤ ما بين تدمير لممتلكات الأهالي ومصادرتها (شبكة قدس الإخبارية، ٩ نوفمبر ٢٠٢٤، الساعة ٥ مساءً).

وظل الوضع هكذا حتى بعد الاتفاق على الهدنة الثانية التي تمت بين حماس وإسرائيل بوساطة أمريكية مصرية قطرية.

[٣] الاغتيال الممنهج للقادة: إن كل عناصر جرائم الحرب كانت مكتملة الأركان في كل توجه لإسرائيل، فشهدت المرحلة سلسلة من الاغتيالات للقادة داخل فلسطين وخارجها، بل حتى من يدعم القضية الفلسطينية، بدءًا من اغتيال إسماعيل هنية والاختراق الأمني لإيران، وحسن نصر الله واختراق لبنان، وغيرهم من القادة بالداخل والخارج، ولكن ظل مشهد مقتل يحيى السنوار يتصدر المشهد، حيث إن تصفية السنوار في ١٧ أكتوبر ٢٠٢٤، ونقل لحظات استشهاده للعالم بدافع الإرهاب، انعكس على إسرائيل بالسلب، فعلق البعض ومنهم الكاتب الإسرائيلي "ألون مزراحي" أن "يحيى السنوار" رئيس حركة حماس قد مات موتًا مشرفًا، موت محارب مع رجاله، موت شخص مع شعبه في دفاعه عن أرضه ضد محتل يسعى للإبادة، لقد رحل وهو يقاوم، لم يكن من الممكن أن يكتب آخر حلقة من حياة السنوار أفضل مما يمكن أن يكتبه كاتب مسرحي موهوب (قناة روسيا اليوم، ٩ أكتوبر ٢٠٢٤، ٩ مساءً).

المحور الثالث: ميزان العدالة العالمي المختل "العالم في مقاعد المتفرجين":

منذ ٧ أكتوبر ٢٠٢٣ وهناك مأساة إنسانية لم يشاهد العالم منذ الحرب العالمية مثلها، والعالم يشاهد ويشجب أحيانًا ويصمت كثيرًا، والقوانين الدولية والإنسانية التي طالما طبقت على دول كثيرة، وتسببت في حروب داخل الشرق الأوسط لسنوات عدة عُلقت، وتوقفت كل آليات التنفيذ وأشكال الضغط أو القوة في مواجهة ما يحدث في غزة من جرائم حرب وإبادة جماعية ومكانية، وظهرت المعايير المزدوجة في تحديد حقوق الإنسان، وآثار ذلك تساؤلًا ربما يكون

متحيزًا معرفيًا، ولكن المشهد العالمي يوحى به، هل أصبح الدم العربي هو المستباح؟! هل الإنسان العربي هو "homosacre" العصر الحديث؟!

حيث إنه على مستوى المنظمات الدولية، فإن التقارير التي خرجت أكدت على أن ما يحدث في غزة يعد جرائم حرب وعدم احترام للقوانين؛ أما على مستوى آليات التنفيذ ومحاولات إيقاف الحرب، فإن هناك تلكؤًا وتباطؤًا يصل إلى درجة تواطؤ عالمي يجعل إحقاق العدالة مقيدًا، وكان المظهر الأكثر فعالية هي محاولات الشعوب والأفراد، ولذا سنعرض للوضع العالمي على هذه المستويات الثلاثة:

(١) التنظيمات العالمية تقارير بلا أفعال:

وقد كان على رأس المؤسسات العالمية التي أشارت إلى الوضع في غزة منظمات حقوق الإنسان Human Rights Watch، وفي التقرير العالمي لحقوق الإنسان حول العالم أشارت المديرة التنفيذية للمنظمة "تيرانا حسن" إلى الوضع في غزة، وإن كانت بداية التقرير إدانة حماس لاعتدائها على المدنيين واحتجاز الرهائن، ثم أشار التقرير إلى رد الحكومة الإسرائيلية بقطع المياه والكهرباء والطعام عن ٢,٣ مليون نسمة، وكذلك منع المساعدات الإنسانية، واعتبرت المنظمة أن ما حدث بعد ذلك هو شكل من جرائم الحرب والعقاب الجماعي؛ حيث أمر الجيش الإسرائيلي أكثر من مليون شخص في غزة بإخلاء منازلهم، وقصف المناطق السكنية المكتظة بالسكان، وقتل آلاف المدنيين والأطفال، وتزامن ذلك مع الإغلاق غير القانوني الذي تفرضه الحكومة الإسرائيلية على قطاع غزة منذ ١٦ عامًا، والفصل العالمي، وحسب التقرير فقد أشار إلى أن حوالي ٨٥٪ من سكان القطاع تم تشريدهم، ودمرت المساكن والمستشفيات، وأشار التقرير إلى أن إسرائيل تستخدم القوة بشكل دائم ضد الفلسطينيين، وأن السلطات تستخدم سياسة الإغلاق ضد الفلسطينيين منذ عام ٢٠٠٧، وقامت ببناء جدار عازل يعزل آلاف الفلسطينيين خلف الجدار الغربي، ومع كل ذلك أشار

التقرير إلى أن الإدارة الأمريكية - وخاصة إدارة بايدن - تصر على إمداد إسرائيل بالأسلحة، بالإضافة إلى ٣,٨ مليار دولار مساعدات عسكرية سنوية، بل - وكما سنشير لاحقًا- استخدمت الولايات المتحدة في منتصف أكتوبر ٢٠٢٣ حق النقض (الفيتو) ضد قرار يدعو إلى هدنة إنسانية في غزة، ولم تتمكن الدول الأوروبية أو الاتحاد الأوروبي من الاتفاق بالإجماع على إدانة جرائم الحرب التي ترتكبها إسرائيل، بالرغم من إدانة حماس (التقرير العالمي لحقوق الإنسان، ٢٠٢٤) www.hrw.org.

ويظهر التقرير الوضع الاستثنائي في الحرب على غزة، وهو ما تماشى مع تقرير اللجنة الأممية التي شكلت من الأمم المتحدة والمعنية بالأرض الفلسطينية المحتلة بما في ذلك القدس الشرقية، وإسرائيل، حيث صرحت نافي بيليه "Navi Pillay" رئيس لجنة التحقيق الدولية المستقلة التابعة للأمم المتحدة، بأن هناك جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية في هجمات إسرائيل على غزة، وأن إسرائيل قد نفذت سياسة منسقة لتدمير الرعاية الصحية في قطاع غزة، وتعمد الهجمات على العاملين الطبيين والمرافق الطبية، وكذلك تدمير عشوائي غير مسبوق للمرافق الصحية، وتعمد قتل واحتجاز وتعذيب العاملين في القطاع الطبي، وتدمير الممتلكات المدنية، والإبادة كجريمة ضد الإنسانية، وكذلك إصابة وقتل الأطفال وحديثي الولادة والخدج والمرضى، ومقتل الطفلة هند، وقصف سيارة الإسعاف التابعة للهلال الأحمر الفلسطينية، واحتجاز آلاف المعتقلين، مع سوء معاملة ممنهج للمعتقلين، وأن سلوك العنف والقتل والانتقام أصبح سلوكًا ممنهجًا وذا طابع مؤسسي "وهو ما أطلقت عليه السياسات الحيوية السوداء Black Biopolitics" وحثت اللجنة حكومة إسرائيل على الامتثال لتوجيهات الرأي الاستشاري الصادر عن محكمة العدل الدولية في يوليو ٢٠٢٤ لإنهاء الاحتلال غير القانوني للأراضي الفلسطينية، ووقف الخطط والأنشطة الاستيطانية الجديدة، وتقديم تعويض للضحايا (الأمم المتحدة، أخبار الأمم المتحدة، ١١ أكتوبر ٢٠٢٤، الساعة ١١ صباحًا) www.news.un.org.

واستكمالًا للتقارير الدولية المؤكدة على وجود إبادة جماعية بلا آليات توضع حيز التنفيذ، قامت محكمة العدل الدولية بالتصويت على قضية "الإبادة الجماعية" التي تبنتها جنوب إفريقيا ضد إسرائيل، وأصدرت لجنة محكمة العدل الدولية المكونة من ١٧ قاضيًا ستة إجراءات طارئة، تأمر فيها إسرائيل باتخاذ جميع التدابير في حدود سلطتها، والتي تؤدي إلى قتل الفلسطينيين، ومنع ومعاقبة أي تحريض مباشر وعلني على ارتكاب الإبادة الجماعية، وتمكين وصول المساعدات، وصدرت القرارات بأغلبية ١٦ صوتًا (س إن إن بالعربية، السبت ٢٧ يناير ٢٠٢٤، الساعة ١٢ مساءً).

وتلى ذلك القرار، القرار السابق الإشارة إليه في ١٩ يوليو ٢٠٢٤، الذي جاء أيضًا بأغلبية ١١ صوتًا، أن استمرار وجود دولة إسرائيل في الأراضي الفلسطينية المحتلة غير قانوني، وأن إسرائيل عليها إخلاء المستوطنين ومنع أنشطة الاستيطان (أخبار الأمم المتحدة، ١٩ يوليو ٢٠٢٤) www.news.un.org.

ولكن هل هذه الحقيقة الواضحة للجميع أخذت أي طريق لرد هذا الظلم الصارخ، واستباحة حياة الجسد الفلسطيني في غزة، ومحاولة إبادتهم في سياسات لاإنسانية استثنائية، لم يظهر الواقع الميداني وضع آليات ملزمة للتنفيذ أو أي إجراءات عقابية فيما تبدى، وكأن العدالة مقيدة بقيد حديدي وهو ما سنشير له لاحقًا.

(٢) العدالة المقيدة:

إن المقصود بالعدالة المقيدة هنا: أن تكون الحقيقة واضحة وجلية للجميع، ولا يوجد أي مؤشرات لوضع آليات للتنفيذ، حيث إنه حتى فكرة إصدار قرارات ملزمة، أو وضع آليات للتنفيذ، وإلزام الكيان المحتل بإيقاف آلة القتل، تم عرقلته من خلال عدد من الأدوات التي تم استخدامها منها:

(أ) الفيتو الأمريكي: "قوة الفيتو Veto Power" الأمريكي كانت حاضرة دائمًا في وجه العالم كله، ذلك الحق الذي لا تمتلكه إلا الصين وفرنسا وروسيا

والولايات المتحدة الأمريكية، والمملكة المتحدة، إلا أن استخدام الفيتو الأمريكي دائمًا الأكثر تميزًا، فقد استخدمت الولايات المتحدة الأمريكية يوم ٨ ديسمبر ٢٠٢٣ حق النقض الفيتو ضد مشروع قرار للوقف الإنساني لإطلاق النار في غزة مقدم من دولة الإمارات العربية، وليس حتى عقابًا لإسرائيل، صوت على القرار ١٣ عضوًا من ١٥ عضوًا لمجلس الأمن، واستخدمت الولايات المتحدة حق النقض فيما امتنعت بريطانيا عن التصويت (أخبار الأمم المتحدة، ٨ ديسمبر ٢٠٢٣) news.un.org.

وقد علق على ذلك أنطونيو غوتيرش الأمين العام للأمم المتحدة أن الفيتو استخدم ٦ مرات منذ تأسيس الأمم المتحدة عام ١٩٤٥، وأن معظم استخدام الولايات المتحدة للفيتو كان بخصوص إسرائيل (إكسترا نيوز، ٨ ديسمبر ٢٠٢٣) extra.news.youtube

(ب) تعليق المساعدات الدولية والحصار العالمي: ليس الفيتو فقط الوسيلة الوحيدة لتقييد العدالة، حيث أظهر الواقع عناصر أخرى، وهنا بدت الأمم المتحدة والعالم مقيدين بالأغلال في ظل قتل حتى موظفي الأمم المتحدة ذاتهم، حيث أعلن الأمين العام للأمم المتحدة أنه تم قتل ١٧١ موظفًا من الأونروا بالحرب على غزة (صحيفة القدس: ٢٥ مارس ٢٠٢٤، الساعة ١٠ صباحًا). إلا أن الموقف الدولي المقيد والصامت كان مبالغًا فيه عندما اتهمت إسرائيل بعض موظفي الأونروا بالعمل مع حماس، علقت عدة دول مثل كندا، وألمانيا، وفنلندا، وإيطاليا، وأستراليا - كما أشرنا - تمويلها للأونروا، في عقاب سريع للشعب الفلسطيني، وفي المقابل صمتت أمام قتل الموظفين التابعين لها من جانب إسرائيل، الأمر الذي استدعى من الأمين العام للأمم المتحدة مناشدة الدول المانحة استمرار عمليات الأونروا في غزة التي أشار إلى أنها ليست بحاجة لهذا العقاب الجماعي. (قناة روسيا اليوم، ٢٧ يناير ٢٠٢٤)، في صورة حية لكيفية تحويل الجاني إلى قاضٍ، وقد أظهرت المقارنة بين رد الفعل العالمي بين الحرب مع أوكرانيا والحرب على غزة سياسة الكيل

بمكيالين وازدواجية المعايير.

(ج) ازدواجية المعايير الدولية: في انعكاس لاختلال ميزان العدالة العالمي، نشير هنا إلى مقارنة بسيطة بين حرب أوكرانيا وحرب غزة والموقف العالمي.

جدول رقم (١): مقارنة بين حرب أوكرانيا وحرب غزة والموقف العالمي

الحرب على أوكرانيا ٢٦ مارس ٢٠٢٢	الحرب على غزة بتاريخ ٢٦ يناير ٢٠٢٤
بعد ٢٤ يومًا من اندلاع الحرب ١٩٠٠ قتيل.	بعد ١١٢ يومًا من اندلاع الحرب ٢٦٨٣٠ شهيدًا. (ملحوظة تضاعف العدد وتخطى ٥٠ ألفًا).
القرار المتخذ: على روسيا تعليق عملياتها العسكرية التي بدأتها على الفور.	**القرار المتخذ:** على إسرائيل اتخاذ جميع الإجراءات التي في وسعها لمنع ارتكاب إبادة جماعية.
محكمة العدل الدولية: على روسيا ممارسة سلطتها على كل الوحدات العسكرية التابعة لها.	**محكمة العدل الدولية:** على إسرائيل تجنب كل ما يتعلق بالقتل والاعتداء والتدمير.

(قناة الجزيرة، ٣٠ يناير ٢٠٢٤، الساعة ١٢ صباحًا).

وتظهر هنا لغة الخطاب الموجه إلى روسيا والموجه إلى الكيان المحتل، بالرغم من الفرق الواضح في حجم القتل والدمار الذي يحدث، وبالرغم من أن الخطاب والقرار متخذ من ذات الجهة، ألا وهي محكمة العدل الدولية.

وقد وصلت ازدواجية المعايير إلى مدى غير مسبوق، حيث هددت الحكومة الأمريكية أي دولة تطبق أوامر المحكمة الجنائية الدولية ضد المسئولين العسكريين، حيث تم إصدار قرار باعتقال نتنياهو وغالانت، ولكن أمريكا هددت من يحاول تطبيقه (قناة DW عربية، ٢٢ نوفمبر ٢٠٢٤).

اتخذت حركات الجماهير والشعوب أشكالًا من التقييد خاصة على مواقع التواصل الاجتماعي، والذي اضطر الكثيرين لاختراع آليات للتحايل لتمرير فيديوهات وصور وغيرها مما كان يحظر أن يتداول على الـ Facebook وأغلب

مواقع التواصل، ولم يكن التحرك في الواقع الافتراضي، بل كانت هناك آليات للحراك بعدة أشكال، أغلبها تم السيطرة عليه، وإن ظل مؤثرًا على الواقع، ومن هذه الآليات:

(أ) السفينة ماڤي مرمرة:

وهي إن لم تنجح في السفر إلى سواحل غزة للضغط الإسرائيلي وتأجلت حركتها أكثر من مرة، إلا أنها صوت عالٍ للإنسانية أمام الاستثناء اللاإنساني، وهي سفينة كانت تستعد للسفر إلى غزة، وهي السفينة نفسها التي تحركت ضمن أسطول الحرية في ٢٩ مايو ٢٠٠١، وحدثت عليها مجزرة، وكان على متنها ٧٥٠ ناشطًا من ٣٧ دولة، وحُملت السفينة بحزمة من المساعدات الإنسانية والإغاثية، واعترضها الكوماندوز الإسرائيلي، وهي لا زالت في المياه الدولية، وأطلقوا النار عليها، وتسبب ذلك في مقتل ١٠ أتراك، وإصابة ٥٦ من جنسيات مختلفة، واعتقال جميع الركاب لمدة يومين، ولم تعتذر إسرائيل إلا بعد عدة أيام (الجزيرة فلسطين، ٢١ نوفمبر ٢٠٢٣).

وبعد ١٣ عامًا حاول أسطول من الرافضين للإبادة الجماعية التي تنفذها إسرائيل التحرك إلى غزة، والمفترض أنه مكون من ١٠٠٠ قارب معظمها من دول غربية، وهدفهم منع الإبادة الجماعية، ويتشكل من ٤٥٠٠ فرد من ٤٠ دولة (قناة روسيا اليوم، الثلاثاء ٢١ نوفمبر ٢٠٢٣).

ولكن هذا الأسطول وبالرغم من الحديث عن جاهزيته، أعلن عن تأجيل تحركه عدة أيام في يوم ٢٦ أبريل ٢٠٢٤، في ظل إعلان الإعلام الإسرائيلي على القناة ١٢ الإسرائيلية أن جيش الاحتلال يجري تدريبات مكثفة لمواجهة أسطول الحرية (arabic.rt.com 25/4/2024).

وبعد ذلك التهديد اختفى الحديث عن أسطول الحرية، أو السفينة ماڤي مرمرة، في ظل تعقيدات وضغوط دولية وخاصة إسرائيلية لمنع إيصال المساعدات إلى غزة.

(ب) فتح جبهات خارجية للمقاومة:

حيث قام حزب الله في جنوب لبنان بضرب المستوطنات في شمال إسرائيل بالصواريخ، مما أدى إلى إجلاء المستوطنات من سكانها، وانتهى الأمر بضرب لبنان ذاتها، واغتيال حسن نصر الله زعيم حزب الله، وانتهاء الأمر بإغلاق هذه الجبهة مرة أخرى بعقد اتفاقية مع الجانب اللبناني بالضغط الأمريكي، وتوقف القتال في هذه الجبهة. (شبكة قدس الإخبارية، ٢٨ نوفمبر ٢٠٢٤)؛ كذلك كان هناك جبهة أخرى وهي جبهة الحوثيين في اليمن التي سيطرت على البحر الأحمر ومنعت توجه سفن إلى إسرائيل، وتلقت عدة ضربات جوية، وأعلنت تلك الجبهة دعمها الكامل لفلسطين وغزة.

كما حدثت بعض ردود الأفعال الفردية من الشعوب مثل إطلاق نار على سفارات الكيان المحتل، مثلما حدث في الأردن، أو اغتيال ضابط إسرائيلي في الإمارات، وغيرها من ردود الفعل الفردية (شبكة قدس الإخبارية، ٢٤ نوفمبر ٢٠٢٤، الساعة ١١ صباحًا).

(ج) فعالية المؤثرين والنشطاء:

ظهر في تلك المرحلة العديد من النشطاء والمؤثرين السياسيين على صفحات التواصل المختلفة، لرفض ما يحدث في غزة، بل ومنهم فنانون مشهورون على المستوى العالمي أكثر من العربي، حتى مع محاولات قمع الأصوات، بل وظهرت أغانٍ لدعم المقاومة، مثل الأغنية السويدية التي كانت بمثابة أيقونة (Liva Palastina)، وكذلك رقصة الحرب لغزة التي انتشرت على مواقع التواصل باسم رقصة الحرية، وأصبحت تجوب الفيديوهات العالم أجمع، بل وتصريحات بعض المشاهير من لاعبين وفنانين وغيرهم، بالرغم من المنع في العديد من الدول وبعضها دول عربية، وظهور مدافعين سياسيين عن القضية الفلسطينية على Instagram وغيرها من المواقع مثل جيل ستاين (سياسي أمريكي) أو (أنا كاسباريان) "Anna Kasparian" صحفية أمريكية، وغيرهم كثيرون.

(د) المظاهرات والوقفات:

كثير من الوقفات الاحتجاجية ملأت شوارع العالم خاصة أوروبا وأمريكا، بل ملاعب كرة القدم، فظهرت بعض الفرق بالكوفية الفلسطينية، أو استخدام علم فلسطين، وأحيانًا تضامن ضمني مثل كتابات على إشارات المرور في البرتغال (Free GAZA) في فيديو تناقلته وسائل التواصل (شبكة قدس الإخبارية، السبت ٩ نوفمبر ٢٠٢٤، الخامسة مساءً) وكان استخدام الرمز حاضرًا في التعبير عن التضامن مع الشعب الفلسطيني، مثل العَلَم والكوفية الفلسطينية، بل والبطيخ كرمز لألوان العلم، كما كانت هناك وقفات احتجاجية حاشدة في عواصم العالم من الشعوب المختلفة، منها في لندن، وبلجيكا، وأمستردام، وهولندا، والأردن، ولكن يظل الأكثر تأثيرًا، المظاهرات الطلابية التي قام بها الشباب الأمريكي، والقبض على المتظاهرين من الشباب، وظل الشباب يحتشدون في عدة جامعات، منها جامعة ولاية أريزونا، وجامعة بارناردو، وكولومبيا، ودينفر، وايموري، وجورج واشنطن، وأوهايو، ونورث كارولينا، وجنوب كاليفورنيا، وأوستن، وفرجينيا، وجامعة بل، مع حملة اعتقالات أثارت غضب الشعب الأمريكي (Arabic.cnn.com. 27-4-2024 videos). وانتشرت فيديوهات على مستوى العالم، وفي سابقة غير معهودة قطعت ثاني أكبر جامعة بلجيكية علاقتها الأكاديمية مع إسرائيل خضوعًا لإرادة الطلاب ومظاهراتهم. (صحيفة القدس، ٢ يونيو ٢٠٢٤، الساعة ١٢ مساءً).

المحور الرابع: الإرادة تقاوم الاستباحة:

"الإنسان المستباح ليس دائمًا مسلوب الإرادة"، حاول الكيان المحتل استباحة الدم الفلسطيني، والعودة به إلى ما قبل الحياة البدائية العارية التي أشار إليها أجامبين، ومن خلال استخدام ما أطلقنا عليه السياسات الحيوية التي حددها فوكو، واعتبرتها الدراسة سياسات حيوية سوداء لا تستهدف إلا تصفية الجسد الفلسطيني أو إعاقته، فيما عرف بالإبادة المكانية والجماعية، كل ذلك من خلال استخدام حالة الاستثناء، ورفع القوانين الدولية والإنسانية، واستخدام سياسة

المحو للكيان الفلسطيني، وإحلال الكيان المهود، ولكن هل كان الفلسطينيون مسلوبي الإرادة أمام هذه القوة الغاشمة، والمدعومة من الولايات المتحدة، لا لم يكن بالقطع الإنسان الفلسطيني هو ذلك الإنسان المقهور والمهدور المستباح، بل كان خلف هذه الاستباحة قوة وأشكال من المقاومة لهذه الأفعال، أثارت إعجاب العديد من المحللين السياسيين وغيرهم، ويمكن أن نعتبرها مقاومة الاستباحة، واتخذت شكلين: شكل مسلح، وشكل مرن، يمكن أن نطلق عليه الصمود، وسنعرض لملامح كل منهما:

(١) المقاومة المسلحة:

إن أول أشكال مجابهة استباحة دم الفلسطيني بهذا الشكل الذي سبق عرضه، والذي وصل إلى درجة الإبادة الجماعية لسكان غزة، كان المقاومة المسلحة من حماس، والتي كبدت إسرائيل خسائر جمة، منها ما هو مالي كما أعلنت إسرائيل ذاتها أن الحرب على غزة كلفتها ٤٢ مليار دولار (قناة العربية، ٣٠ ديسمبر ٢٠٢٤، ١١ مساءً).

تسببت الحرب بإجلاء ما يقارب من ٢٥٠ ألف إسرائيلي من منازلهم من الجنوب والشمال، وانهيار الاقتصاد الإسرائيلي، كما أن إسرائيل تكبدت عدة خسائر: (أ) ١,٨٤٥ قتيلًا بينهم ٨٤١ جنديًا، و(ب) ٢٣,٩٥٥ مصابًا، (ج) ١٤٣,٠٠٠ تم إجلاؤهم من منازلهم، (د) ٢٧,٠٠٠ قذيفة وصاروخ وطائرة مسيرة أطلقت باتجاه الأراضي المحتلة، منها ١٣,٤٠٠ من غزة، كما أعلنت وزارة المالية (الجزيرة نت، ٢٠٢٤/١٠/١٥، ٣ مساءً) www.ajnet.me أن تكلفة الحرب بلغت أكثر من مليار شيكل، وبالرغم من أنه بمقارنة الخسائر مع خسائر الشعب الفلسطيني عدد الشهداء يفوق الـ ٥٠,٠٠٠ كما سبق وذكرنا، وتدمرت ٧٠٪ من بنية غزة التحتية، ولكن مقارنة بحجم الاعتداء، وأن جيش الاحتلال مدعوم عالميًا، ومسلح بأقوى تسليح، عندما يحارب جماعات مسلحة مقاومة ذات تسليح بسيط، يصبح في هذه المعادلة خاسرًا أمام المقاومة الفلسطينية، حيث لم ينجحوا في استعادة أسير واحد حيًا. وأصبح الانتصار

المحسوب لا على المقاومة، بل على النساء والأطفال، بل إن بعض محرري الشؤون العسكرية يشيرون إلى أن عمليات المقاومة التي نفذت خلال ٢٠٢٤ كان لها تأثير كبير، مما يشير إلى تطور ملحوظ في قدرات مجموعات المقاومة من حيث هيكلية الخلايا، وجودة الأسلحة المستخدمة.

ويؤكد على قوة المقاومة المسلحة كثير من المحللين السياسيين، فيشيرون إلى أن تكتيكات حرب العصابات التي تنتهجها حماس شمال غزة تجعل هزيمتها صعبة (الجزيرة فلسطين، ٢٢ أكتوبر ٢٠٢٤، الثانية ظهرًا).

وربما تلك المقاومة هي ما أجبرت الكيان المحتل على قبول الهدنة الأولى في ٢٢ نوفمبر ٢٠٢٤ لالتقاط الأنفاس، والتي أشرنا إليها، خاصة أن إسرائيل كانت تؤكد مرارًا أنها ترفض وقف إطلاق النار قبل تدمير قدرات حماس العسكرية وإعادة الأسرى، ولكن المقاطع المصورة للشباب الفلسطيني المقاوم وهم يحملون الأسلحة المضادة للدروع، والتي كانت تتناقلها القنوات الإعلامية خاصة الجزيرة فلسطين، كانت تؤكد على استحالة تحقق ذلك على أرض الواقع، حتى بعد انتهاء الهدنة وعودة الكيان المحتل بشكل أكثر عنفًا ولا إنسانية، ولكن ظل جيش الاحتلال يفقد آلياته وجنوده كل يوم، وتشاهد فيديوهات لمروحيات عسكرية تجلي الجنود القتلى والمصابين في كمائن واشتباكات يخوضها الشباب الفلسطيني المقاوم في كل أنحاء غزة ومخيمات جباليا وجنين. (شبكة قدس الإخبارية، ١٩ نوفمبر ٢٠٢٤، ٩ مساءً).

وهذه الملاحم التي خاضتها المقاومة ليست مجال هذا البحث أو الإشارة إلى كل تفاصيلها، ونقف هنا على هذه الإرادة التي قاومت محاولة جعل الإنسان الفلسطيني هو ذلك الإنسان المستباح، ولكن الإرادة بكل أشكالها المقاومة المسلحة والمرنة والصمود قاومت فعل الاستباحة، وتعليق القانون اللاإنساني، وإن كان الباب لا زال لم يغلق مع الدعوات الإسرائيلية والأمريكية لتهجير سكان غزة، ولكن مادام هناك صمود ومقاومة، فإن الأرض ستنتصر لأصحابها.

(٢) المقاومة المرنة "عندما يكون الصمود سلاحًا":

إن المقاومة المسلحة لم تكن هي شكل مقاومة أفعال الاستباحة، وتلك السياسات الحيوية السوداء والممنهجة من أجل الإبادة والتهجير الإجباري، فقد ابتدع المواطن الفلسطيني آليات مختلفة للمقاومة الصامدة والمرنة، وكانت هي الأساس، وأصبح الصمود الغزاوي سلاحًا أقوى من كل سلاح، ومن هذه الآليات نقل الصور حية من عدد من المؤثرين والشباب داخل غزة، وكذلك التمسك بالحياة والصمود وسط رائحة الموت، ونعرض بشكل سريع لكل منهما كنماذج لأساليب المقاومة المرنة والصمود.

(أ) غزة تغزو العالم (شباب غزة ينقل الصورة الحية):

منذ اللحظات الأولى للحرب على غزة وظهر عدد من المؤثرين على صفحات المواقع الاجتماعي وعلى Instagram وYouTube وTikTok، وأصبح لهم متابعون من كل أنحاء العالم بمئات الآلاف، بل والملايين، وكان ذلك أكثر شيء وصل إلى العالم كله، وسوف نشير بشكل سريع لبعض أولئك المؤثرين من داخل غزة، وليس كلهم بكل تأكيد ومنهم:

(١) Khaled M-Nabhann: ذلك الجد الذي أطلق عليه الناس (روح الروح)، وهو ذلك اللقب الذي نادى به حفيدته المسجاة على كتفيه بعد قتلها، وامتلأت صفحته بالأجانب وكان لديه ٩٨٧ ألف متابع (987k)، وظهر بعد ذلك يوزع طاقة إيجابية، وأصبح مشهورًا خارج غزة، مغيرًا الصورة السلبية النمطية عن الإنسان الملتزم دينيًا شكلًا ومضمونًا، ومُظهرًا وقائع الدمار داخل غزة، حتى استشهد.

(٢) Anas Jamal 44: وهو الأكثر شهرة على Instagram، لأنه مراسل الجزيرة وهو من مخيم جباليا، والذي قُتل عدد من أصدقائه، وظل ينقل الصورة حتى اليوم ولديه ١,١ مليون متابع (1.1M)، وهو ينقل الأحداث بشكل يومي لكل العالم والقنوات ليس فقط على صفحته الخاصة، ومن

أقواله: إن كل شيء دمر في غزة أمام العالم بالبث الحي والمباشر، والعالم يشاهد بصمت، وكأن حياتنا مجرد مشهد عابر في نشرات الأخبار.

(٣) **Mahmoud Abuzaiter**: وهو فنان كوميدي فلسطيني، يسمي نفسه (وزير السعادة) لديه ١,٣ مليون متابع (1.3M)، ينقل الأحداث أحيانًا بسخرية، وأحيانًا بحزن، واشترك في مسابقة عن أكثر المؤثرين تأثيرًا أثناء الحرب، ووصل إلى الأدوار النهائية، حصل على رسالة الماجستير يوم ٢ نوفمبر ٢٠٢٤ وسط الحرب عن زمن الأزمات وصور لجنة المناقشة، وكان ذلك من أشكال المقاومة والصمود، حيث استخدم أسلوب التهكم والسخرية دائمًا، فكتب في ١٩ نوفمبر ٢٠٢٤ "رضينا بالطحين مسوس وفيه ودود وهو ما رضي فينا فيش طحين – فيش خبز"، وفي ٢٢ نوفمبر ٢٠٢٤ قال: "عرفتوا ليش محمود درويش كتب أحن إلى خبز أمي"، وهكذا دائمًا ينقل أخبار المجاعة، والتهجير القسري، والنزوح، والقتل، وهو ساخر.

(٤) **Qusi Gaza 21:** وهو موقع لفتى صغير السن اسمه (قصي جراد) لم يصل إلى العشرينيات، ولديه أكثر من ٢٠,٨ ألف متابع (20.8k)، يعرض فيديوهات طبخ، وأحيانًا مشاهد داخل غزة.

(٥) **Saleh. Jafarawi:** وهو حساب صالح الجعفراوي على Instagram والذي وضع على قائمة الاغتيالات المطلوبة أكثر من مرة، ولديه أكثر من ٤ ملايين متابع (4M)، وأغلق حسابه أكثر من مرة، ويصور دائمًا أحداث القتل من موقعها الحي، وقصف المستشفيات، وحسابه لا يقل أهمية عن حساب أنس مراسل الجزيرة.

(٦) **Weam Badwen:** لديه أكثر من مليون متابع (1M)، يقوم بأعمال خيرية داخل غزة، ويجمع تبرعات، وسافر إلى مصر يتابع المرضى هناك، وظل أخيه يتابع الأعمال الخيرية.

(٧) Plestia Alaqad: بلستيا العقاد شابة صغيرة من غزة عمرها ٢٢ عامًا، لها محتوى على Instagram، ولديها ٤,٨ مليون متابع (4.8M)، وقدمت محتوى باللغة الإنجليزية، وسافرت من غزة، ولديها أجانب كثيرون على صفحتها، وعندما سافرت كتبت كتابًا اسمه "The Eye Sof Gaza" وأسهم ذلك في تسليط الضوء الغربي على غزة، حيث إن خطابها كله باللغة الإنجليزية، وقد سافرت إلى أستراليا.

(٨) Motaz – Azaiza: وصفحة عزايزة على إنستجرام من أكثر الصفحات التي بها أجانب، وهو مصور شاب عمره ٢٤ سنة، ولديه ١٧,١ مليون متابع (17.1M) ، أغلبهم أجانب، وقد صور لقطات مفزعة من داخل غزة، وواجه الموت أكثر من مرة، ولكنه سافر إلى قطر بعد أكثر من محاولة لاستهدافه، الأمر الذي عرضه لنقد كبير، بالرغم من أنه ظل متمسكًا بالدفاع عن غزة، وسافر إلى أكثر من دولة، وكان يقدم محتواه باللغة الإنجليزية، هو من أكثر المؤثرين شهرة على المستوى العالمي، وقد اعتذر في أحد فيديوهاته قائلًا: إن شاء الله أعود لغزة مرة أخرى.

(٩) ele_elna_elak: وهي صفحة اللي إلنا إلك على Instagram وهي للشابة الفلسطينية Bisan بيسان، ولديها ٩٧,٣ ألف متابع (97.3K) ، تتجول بين المخيمات لتنقل أشكال الحياة وصعوبتها، ثم قادت حملة لتوزيع المياه في غزة، وبالفعل نجحت في توزيع أكثر من ٢٠ مليون لتر مياه، كما وزعت ملابس شتوية، وكل ذلك أعان الشعب على الصمود والمواجهة.

(١٠) Wael Eldahdoh: وهو الصحفي ومراسل الجزيرة الذي فقد أبناءه وزوجته أمام مرأى من العالم، وظل حتى أصيب وسافر للعلاج، كان أيقونة في الصبر تناقلها العالم، وهو الأكثر شهرة.

وهناك أكثر من أولئك بكثير، وظلت الصورة الحية خيرًا من أي خبر يُتناقل.

(ب) الصمود والفعل المقاوم:

ظهرت بعض الممارسات اليومية كأنماط من الفعل المقاوم، وشكل من أشكال الصمود لأهل غزة، وبعضها كان يصور من داخل غزة، ويمكن أن نشير لبعض النماذج لهذه الممارسات أو الأفعال المقاومة والتي منها:

- **صناعة الطعام:** المخبوزات على أفران يدوية الصنع من فحم وطين، أو علب صفيح، وانتشار فيديوهات عديدة للطبخ، بالرغم من نقص المساعدات، وكذلك توزيع الطعام والماء.
- **بناء الخيام على الأنقاض:** قام الغزاويون ببناء الخيام على أنقاض البيوت المنهارة، أو خروج الأطفال والشباب والكبار رافعين علامة النصر أمام الكاميرات، كعلامة للصمود والتمسك بالأرض.
- **الطفل الصامد المقاوم:** نشر فيديوهات لأطفال يقومون بالغناء أو يرقصون وسط الدمار، بل ولقاءات مع أطفال يقولون إنهم سيموتون في غزة ولن يتركوها، وأبرز مشاهد أفعال المقاومة والصمود وقوف الأطفال أمام جنود الاحتلال بلا خوف، ففي أحد المشاهد المصورة ظهر طفل يقف أمام مدرعة إسرائيلية وعدد من الجنود، واضعًا يده في منتصف جسده في وضع التحدي، وهو ينظر للجنود الذين كانوا يحاولون عدم النظر إليه وكأنهم الأضعف (شبكة قدس الإخبارية، ٢٠ نوفمبر ٢٠٢٤، الساعة ٨ مساء، فيديو).
- **ممارسة العلم والرياضة:** ممارسات يومية مثل فصول لتعليم الأولاد داخل الخيام ووسط الحطام، أو وجود مراكز لتحفيظ القرآن، ومسابقات، وجوائز للأطفال، ومقاومة النزوح والإبادة في مشاهد تتعالى على الجِراح، وتمثل أشكالًا من المقاومة المرنة. (شبكة قدس الإخبارية، ١٥ يوليو ٢٠٢٤، الساعة ٢,٣٦ صباحًا، فيديو)، وكذلك ممارسة بعض الشباب للرياضة فوق ركام المنازل في غزة ورياضات متخصصة مثل "الباركور". (شبكة قدس الإخبارية، ٥ أغسطس ٢٠٢٤، الساعة ٢ ظهرًا، فيديو)

- **المقاومة من خلال العمل:** بالرغم من كل ما عانته غزة، فقد كان يحاول الجميع أن يعمل في أي عمل، الأطفال يقومون بالبيع، والكبار يعملون ويتبادلون التجارة، فعلى سبيل المثال تحولت مديرة فندق إلى بائعة معمول، وظهر أن في غزة لا مكان للسكون والاستسلام (قناة الجزيرة، ٣ يوليو ٢٠٢٤، ٩ صباحًا).
- **المقاومة من خلال التعليم العالي:** حيث انتشرت فيديوهات لمناقشات رسائل ماجستير ودكتوراة وسط الدمار بغزة، ومنها - ما أشرنا إليه - رسالة ماجستير لأحد المؤثرين داخل غزة عن زمن الأزمات. (Mahmoud abuzaiter, Instagram, 2 November 2024: 8 pm)
- **المقاومة الصريحة:** أظهر الواقع المعيش من خلال الصور والمشاهد المنقولة عبر البث الحي مشاهد لمقاومة صريحة لمجابهة الرصاص والقذائف بالأجساد الحية، فظهر صحافيون يتحركون تحت وابل من القذائف والرصاص، ومسعفون يدخلون مناطق وعرة ومملوءة بالمخاطر، وأطباء يقفون أمام جنود مدججين بالسلاح، ودبابات مصوبة لأجسادهم، ويظل مشهد الطبيبة "أميرة العسولي" التي قفزت تحت وابل من الرصاص لإنقاذ شاب ملقى أمام بوابة "مجمع ناصر الطبي" في خان يونس، هو أكثر مشاهد المقاومة والصمود. (قناة الحدث، ١١ فبراير ٢٠٢٤ Instagram). وبالقطع فإن هذا الصمود لا سبيل أمامه إلا النصر.

ويمكن أن نلخص ما تم عرضه من نتائج في الشكل التالي:

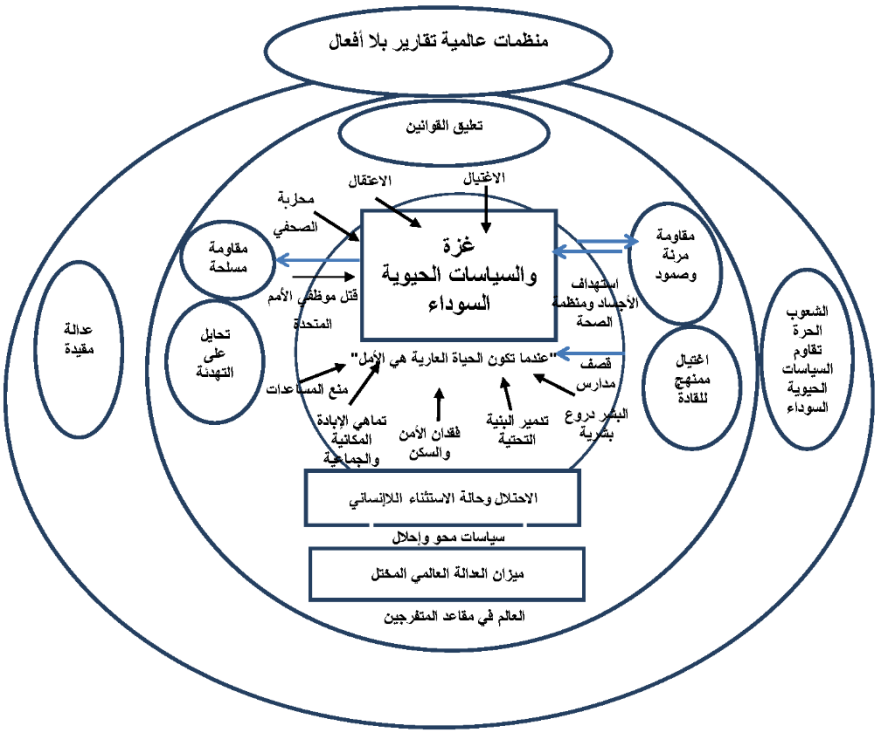

شكل رقم (٢): السياسات الحيوية السوداء و الاستثناء اللاإنساني في حرب غزة

استخلاصات عامة:

في نهاية هذا البحث نستخلص أنه وإن كان الكيان المحتل أخضع سكان غزة لسياسات حيوية سوداء ورفع كل القوانين الإنسانية في حالة استثناء لاإنسانية فريدة من نوعها، محاولًا تحويل حياة الفلسطينيين إلى حياة لا ترتقي إلى الحياة العارية بمفهوم "أجامبين"، ممارسًا أقصى أفعال الإبادة الجماعية والمكانية، إلا أن المقاوم الفلسطيني أظهر أن الإرادة قد تقاوم فعل الاستباحة، وأن الإنسان المستباح ليس دائمًا مسلوب الإرادة، حيث استخدم الفلسطينيون في غزة أشكالًا للمقاومة، منها ما هو مسلح من خلال الجناح العسكري لحماس وكتائب القسام، ومنها ما هو مرن من خلال سلاح الصمود.

ويمكن أن نركز هنا على عدد من الاستخلاصات الرئيسة للدراسة، بعضها على المستوى النظري، وأخرى على المستوى الإمبريقي منها:

(١) **بزوغ مفهوم السياسات الحيوية السوداء:** أكد البحث على أهمية التأويل السياسي للدور والوظيفة التي تقوم بها البيولوجيا حسب أفكار ميشيل فوكو، مع التأكيد على رد المفهوم إلى سياقه المجتمعي، وإن كان فوكو قد أشار إلى أن السياسة الحيوية تحوي جانبًا لا يؤدي دائمًا للحفاظ على الحياة، إلا أن هذه الدراسة أشارت إلى نمط آخر للاستخدام السياسي للأجساد يتخطى هذا المفهوم، وهو السياسات الحيوية السوداء "Black biopolitics" والتي بمقتضاها قد تستخدم السياسات الحيوية ليس فقط للحياة، بل للإماتة والإعاقة وتغيير التركيب النوعي، ومحاولات محو الهوية، كما حدث في غزة، ومن ثم أظهر هذا المفهوم امتزاج البيولوجيا والأجساد بالسلطة؛ لإحداث مزيد من السيطرة والإبادة المكانية والجماعية للبشر، ومن خلال سياسات أكثر عنفًا مظلمة وسوداء.

(٢) **حالة الاستثناء من رفع القانون الوضعي إلى رفع القانون الإنساني:** تجلى للدراسة حالة الاستثناء في أقصى أشكالها، ولم يتضمن الاستثناء رفع القوانين الوضعية فقط، بل القوانين الإنسانية أيضًا، وأظهر البحث أن حالة الاستثناء قد توجد بالفعل ذلك الإنسان المستباح، ولكن إن كان "أجامبين" أشار إلى أن تلك الحياة العارية لأولئك المستباحين تتضمن الحرمان من الحق السياسي والحياة السياسية، إلا أن هذه الدراسة أظهرت وجود أشكال من رفع القوانين، والحرمان من حق الحياة البدائية من كل الاحتياجات الأساسية والمسكن والمأكل، بل ومن الحياة ذاتها، ورفع القوانين الإنسانية في عصر ينادي بحرية البشر والإنسانية كقيمة كونية.

(٣) **غزة مدينة الاستثناء الفريدة:** برزت غزة خلال مرحلة الحرب عليها، كنموذج مثالي لتطبيق أفكار أجامبين عن حالة الاستثناء والإنسان الحرام،

وما يمارس بها من سياسات حيوية سوداء في ظل رفع القوانين، حيث أظهر الواقع عددًا من المشاهدات التي تؤكد ذلك تمثلت في:

(أ) أن الكيان المحتل مارس المفهوم الذي أشارت إليه الدراسة حول السياسات الحيوية السوداء، التي جعلت من حياة الـ Zeo التي لا تتضمن إلا الطعام والشراب والمكان هي آمال الغزاويين، في ظل استهداف منظومة الصحة واستهداف الأجساد حتى الأطفال والرضع، وفي ظل منع المساعدات الإنسانية، وتدمير البنية التحتية، وقتل الصحافيين، والاعتقال، والتعذيب، في شكل أحدث تماهيًا بين الإبادة الجماعية والمكانية.

(ب) الاستثناء اللاإنساني واستخدام سياسة المحو والإحلال، وهي محو الجسد والكيان الفلسطيني وإحلال الصهيوني، من خلال تعليق القوانين والتحايل وإنكار الذوات الموجودة.

(٤) اختلال ميزان العدل العالمي: أظهرت الدراسة المعايير المزدوجة في تحديد حقوق الإنسان، وانتهت بتساؤل جديد ألا وهو: هل أصبح الدم العربي هو المستباح؟ وهل الإنسان العربي هو "Homosacre" العصر الحديث؟!، حيث أظهر البحث أن التنظيمات العالمية كانت تقارير بلا أفعال أمام عدالة مقيدة ومعايير مزدوجة، وإن أظهرت الشعوب أشكالًا من الدعم الإنساني، كما أشرنا سابقًا، إما من خلال مظاهرات ووقفات احتجاجية، أو مؤثرين، وغيرها.

(٥) الإرادة تقاوم الاستباحة: تبدى من خلال البحث أن الإنسان المستباح ليس دائمًا مسلوب الإرادة، وإنه أظهر قوة لم يشر إليها أجامبين، بل كثيرًا ما تخطت قوته قوة الكيان المحتل، مما يظهر أن الحق يمنح صاحبه القوة، حتى ولو حاولوا سلب الحياة من حقوق سياسية وحق الحياة، وانعكس ذلك في ممارسات المقاومة المسلحة والمقاومة المرنة أو الصمود والتي تجلت في ممارسات مختلفة مثل نقل الصور الحية، وأفعال الصمود في الحياة

اليومية لإبراز نتيجة مهمة وهي أن ذلك "الإنسان المستباح" لدى أجامبين ليس مسلوب الإرادة دائمًا، وأن الإرادة المستندة على الحق تقاوم فعل الاستباحة.

وننهي البحث بحقيقة مهمة ألا وهي: أن هذا البحث ما هو إلا نقطة مفتاحية لمزيد من الأبحاث حول موضوعات عدة منها:

(١) التأويل السياسي للدور والوظيفة التي تقوم بها البيولوجيا في مجال الحروب والأوبئة.

(٢) الاختبار الميداني لمفهوم السياسات الحيوية السوداء الذي توصل إليه البحث الحالي، على عدد من الموضوعات الأخرى.

(٣) الموقف العالمي المتخاذل مع آخر أشكال الاستعمار في فلسطين.

قائمة المراجع

أولاً: المراجع العربية:

(١) أبو سنة، غسان وآخرون (٢٠٢١). سردية الجرح الفلسطيني: تحليل السياسة الحيوية لإسرائيل، مجلة الدراسات الفلسطينية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ص ص ٢٤٩ – ٢٥١. مسترجع من: http://Search.mandumah.com/Record/1192850

(٢) أجامبين، جورجيو (٢٠١٥). حالة الاستثناء الإنسان الحرام، ترجمة ناصر إسماعيل، مدارات للأبحاث والنشر، الطبعة الأولى.

(٣) أحمد، نوفل إبراهيم (٢٠٢٢). الأسباب الاجتماعية والثقافية المؤدية لظاهرة الهجرة القسرية (دراسة ميدانية على عينة من المهاجرين الفلسطينيين إلى جمهورية مصر العربية، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الدراسات والبحوث العربية)، قسم الدراسات الاجتماعية، القاهرة.

(٤) زايد، أحمد (٢٠١٦). النظريات الاجتماعية المعاصرة، مركز جامعة القاهرة للطباعة والنشر، القاهرة.

(٥) أخبار الأمم المتحدة: (١ أكتوبر الساعة ١١) صباحًا. (news.un.org.)

(٦) أخبار الأمم المتحدة: (١٩ يونيو ٢٠٢٤)، (news.un.org.)

(٧) أخبار الأمم المتحدة: ٨ ديسمبر ٢٠٢٤، (news.un.org.)

(٨) إدوارد بيحيدر: (٩ ديسمبر ٢٠٢٤)، يونيسيف دولة فلسطين www.unicef.org

(٩) الرشيدي، غازي عنيزان (٢٠٢١). أسلوب تحليل المحتوى النوعي: رؤية تحليلية، مجلة كلية التربية، جامعة عين شمس، العدد الخامس والأربعون، القاهرة.

(١٠) التقرير العالمي لحقوق الإنسان (٢٠٢٤)، هيومان رايت ووتش. Human Rights Watch: www.hrw.org.

(١١) الجزيرة الوثائقية: (٢٥ نوفمبر ٢٠٢٤).

(١٢) الجزيرة فلسطين: (٢٢ أكتوبر ٢٠٢٤)، الثانية ظهرًا.

(١٣) الجزيرة فلسطين (١٧ ديسمبر ٢٠٢٤)، ٤ صباحًا.

(١٤) الجزيرة فلسطين: (٢١ نوفمبر ٢٠٢٣).

(١٥) الجزيرة مصر: (٢١ نوفمبر ٢٠٢٣).

(١٦) الجزيرة مصر: (٢٢ نوفمبر ٢٠٢٣).

(١٧) الجزيرة مصر: (٢٩ فبراير ٢٠٢٤).

(١٨) الجزيرة نت: ١٥ أكتوبر ٢٠٢٤، الساعة ٣ مساءً. www.ajnet.time.

(١٩) الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني: www.pcbs.gog.ps

(٢٠) حنفي، ساري (٢٠٢٣). الحرب على غزة من الإبادة المكانية إلى الإبادة الجماعية، ترجمة علاء بريك هنيدي. تاريخ الدخول: ٢٠٢٤/١/٢١ .alsifr.org

(٢١) الخويلدي، زهير (٢٠٢٠). اختراع السياسة الحيوية من طرف ميشيل فوكو، الحوار المتمدن، العدد ٦٦٠٤، تاريخ الدخول ١١ يناير ٢٠٢٣ الساعة الثانية عشر مساءً.

(٢٢) الزواوي بغورة، ابن السعدي (٢٠١٢). منزلة السياسة الحيوية في الفلسفة السياسية: المعاصرة: دراسة تحليلية نقدية"، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الحولية ٣٢، الرسالة ٣٢١، جامعة الكويت – مجلس النشر العلمي، ٨-١٣٨ مسترجع من:

http://search.mandumah.com/Record/477197

(٢٣) س إن إن بالعربية: السبت ٢٧ يناير ٢٠٢٤، الساعة ١٢ مساءً.

(٢٤) س إن إن بالعربية: السبت ٢٧ يناير ٢٠٢٤، الساعة ١٢ صباحًا.

(٢٥) قدري، سامية (يوليو٢٠٢٢)، الحياة السياسية: جينالوجية العلاقة، المجلة العربية لعلم الاجتماع، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، جامعة القاهرة، العدد الثلاثون.

(٢٦) شبكة قدس الإخبارية: (٢ نوفمبر ٢٠٢١)، الساعة ٨ مساءً، فيديو.

(٢٧) شبكة قدس الإخبارية: الثلاثاء (٧ نوفمبر ٢٠٢٣)، الساعة الثالثة مساءً.

(٢٨) شبكة قدس الإخبارية: الثلاثاء (١٤ نوفمبر ٢٠٢٣)، التاسعة مساءً.

(٢٩) شبكة قدس الإخبارية (١٤ نوفمبر ٢٠٢٣) الساعة ٩,٣٠ صباحًا.

(٣٠) شبكة قدس الإخبارية: (٢٥ ديسمبر ٢٠٢٣).

(٣١) شبكة قدس الإخبارية: (٢ يونيو ٢٠٢٤)، الساعة ١٢ مساءً.

(٣٢) شبكة القدس: (٣ يونيو ٢٠٢٤)، الساعة الثانية ظهرًا.

(٣٣) شبكة قدس الإخبارية: (١٥ يوليو ٢٠٢٤)، الساعة ٦ صباحًا.

(٣٤) شبكة قدس الإخبارية: (٥ أغسطس ٢٠٢٤)، الساعة ٢ ظهرًا، فيديو.

(٣٥) شبكة قدس الإخبارية: (٩ نوفمبر ٢٠٢٤)، الساعة ٥ مساءً.

(٣٦) شبكة قدس الإخبارية: السبت (٩ نوفمبر ٢٠٢٤)، ٩ مساءً.

(٣٧) شبكة قدس الإخبارية: (٢٤ نوفمبر ٢٠٢٤)، الساعة ١١ صباحًا.

(٣٨) شبكة قدس الإخبارية: (٢٨ نوفمبر ٢٠٢٤).

(٣٩) شبكة قدس الإخبارية: (٩ ديسمبر ٢٠٢٤)، ١٢ ظهرًا.

(٤٠) شطارة، عامر ناصر ونصار، دعاء جمال محمد (٢٠٢٢). مفهوم السياسة الحيوية بين ميشيل فوكو وجورجيو أجامبين، مجلة تبيين للدراسات الفكرية والثقافية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ربيع مج ١٠، ع ٤٠، ٩٣: ١١٤، مسترجع من:

http://Search.madumah.com/Record/1272857

(٤١) صحيفة القدس: (السبت ٢٧ يناير ٢٠٢٤)، الساعة ٧ صباحًا.

(٤٢) صحيفة القدس: (٢٥ مارس ٢٠٢٤)، الساعة ١٠ صباحًا.

(٤٣) صحيفة القدس: (٢٧ مايو ٢٠٢٤)، الساعة ٣ مساءً.

(٤٤) صحيفة القدس: (٢ يونيو ٢٠٢٤)، الساعة الثانية عشر صباحًا.

(٤٥) صحيفة القدس: (٢ يونيو ٢٠٢٤)، الساعة ١٢ مساءً.

(٤٦) صحيفة القدس: (١٢ يونيو ٢٠٢٤)، ٨ صباحًا.

(٤٧) صحيفة القدس: (السبت ٢٧ يناير ٢٠٢٤)، الساعة ٧ صباحًا.

(٤٨) صحيفة القدس: (١٧ أكتوبر ٢٠٢٤).

(٤٩) صحيفة القدس: (الخميس ٥ أغسطس ٢٠٢٤)، الساعة ٢ صباحًا.

(٥٠) صحيفة اليوم السابع: (٢٤ يونيو ٢٠٢٤)، ٤ صباحًا.

(٥١) الصفحة الرسمية لوزارة الصحة الفلسطينية/ غزة. ٧ نوفمبر ٢٠٢٣ moh.gov.ps .

(٥٢) الصفحة الرسمية لوزارة الصحة الفلسطينية/ غزة. ٢٦ ديسمبر ٢٠٢٤ moh.gov.ps.

(٥٣) غانم، هنيذة (٢٠٢٣). السياسة الحيوية للاستعمار الاستيطاني: إنتاج المقدسيين كمارقين، قضايا إسرائيلية، مركز المعلومات البديلة. تاريخ الدخول ٢٠٢٣/١/١١ www.madarcenter.org/files/_47/5741.

(٥٤) فادي، قدري أبو بكر (٢٠١٦). عائلات الأسرى الفلسطينيين ومواجهة السياسات الحيوية الإسرائيلية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بيرزيت، فلسطين. http://search.mandumah.com/Recard/789945

(٥٥) القناة ١٢ الإسرائيلية: (٢٧ مايو ٢٠٢٤).

(٥٦) قناة DW العربية: (٢٧ يناير ٢٠٢٤).

(٥٧) قناة DW عربية: (٢٢ نوفمبر ٢٠٢٤).

(٥٨) قناة الجزيرة فلسطين: الثلاثاء (٢١ نوفمبر ٢٠٢٣).

(٥٩) قناة الجزيرة: مقابلة تليفزيونية وائل الدحداح، (١٥ ديسمبر ٢٠٢٣).

(٦٠) قناة الجزيرة: (٣٠ يناير ٢٠٢٤)، الساعة ١٢ صباحًا.

(٦١) قناة الحرة: (السبت ٢٧ يناير ٢٠٢٤)، الساعة ٧ صباحًا.

(٦٢) قناة العربية: (٣٠ ديسمبر ٢٠٢٤)، ١١ مساءً.

(٦٣) قناة الغد: (١٩ أكتوبر ٢٠٢٤)، الساعة ٧ مساءً، فيديو.

(٦٤) قناة روسيا اليوم: (٢٧ يناير ٢٠٢٤).

(٦٥) قناة روسيا اليوم: (٩ أكتوبر ٢٠٢٤)، ٩ مساءً.

(٦٦) قناة روسيا اليوم: (١١ أكتوبر ٢٠٢٤)، الساعة ٩ مساءً، فيديو.

(٦٧) قناة روسيا اليوم: (الثلاثاء ٢١ نوفمبر ٢٠٢٣).

(٦٨) قناة روسيا اليوم: (السبت ٣٠ نوفمبر ٢٠٢٤)، الساعة ١١ مساءً.

(٦٩) قناة يورونيوز: (١٤ نوفمبر ٢٠٢٣).

(٧٠) قناة يورونيوز: (السبت ٢٧ يناير٢٠٢٤).

(٧١) المرصد الأورومتوسطي لحقوق الإنسان: (١ فبراير ٢٠٢٥) euromedonitor.org

(٧٢) المرصد الأورومتوسطي: (٨ سبتمبر ٢٠٢٤)، (euromedomitor.org)

(٧٣) المركز الفلسطيني للإعلام: (السبت ٢ نوفمبر ٢٠٢٤، الساعة)، ٨ مساءً.

(٧٤) موقع الأمم المتحدة: (١٢ يونيو ٢٠٢٤)، الساعة ٨ صباحًا. http://news.un.org

(٧٥) موقع الأمم المتحدة: (٣ يونيو ٢٠٢٤)، الساعة ٩ صباحًا. http://news.un.org

(٧٦) ماتيوز، بوب وليز روس (٢٠١٦). الدليل العملي لمناهج البحث في للعلوم الاجتماعية، ترجمة: محمد الجوهري، المركز القومي للترجمة ٢٣١٩، الطبعة الأولى، القاهرة.

(٧٧) هيومن رايت ووتش، (١٩ ديسمبر ٢٠٢٤)، ١٢ صباحًا. www.hrw.org

(٧٨) وجدان، عناد فريق، وستار الجابري (٢٠٢١)، أثر البناء الفكري للمرأة الفلسطينية في مواجهة تحديات استراتيجية الإبادة للعدو الصهيوني، مجلة وميض الفكر للبحوث، مجلة علمية محكمة (ربع سنوية)، العدد العاشر، ص ص ١٦٥ – ١٧٣. Wameedalfikr.com

ثانيًا: المراجع الأجنبية:

(1) Abushama Hashem (2021). On Refugee Agency, Biopolitics, and a New World, Canda's Journal and Reffugees, Elsever, Vol. 37, No. 2, pp. 30-37.

تاريخ الدخول ٢٠٢٣/٢/١٠ http://doi.org/10.25071

(2) Anas Jamal 144, Instgram. ٤ ،٢٠٢٤ ديسمبر ٢١-

(3) Anas Jamal 144, Instgram. ٤ ،٢٠٢٤ ديسمبر ٢٢-

(4) Anas Jamal 144, Instgram. الجمعة ٢٦ يناير ٢٠٢٤ صباحًا-

(5) Arabic.rt.com 25/4/2024

(6) Eklnd lisa and Pue Wal Navtej (2017). The Bio-politics of Population Control and Sex-Selective abortion in China and India, Feminism and Pshychology. Vol. 27, Issue1.

http://0811308oh-1105-Y-https-doi-org.mplci.egb.eg.

(7) Extranews.Youtube (8 December 2023).

(8) Ghosh Avil asha (2021). Rethinking Bioplitics and Governance in India during the Covid-19 Pandemic, Indian Journal of Public Administration, Vol. 67, Issue 3. http://0811308oh-1105-Y-https-doi-org.mplci.egb.eg.

(9) Ginberg Levluis (March 2013). Resistance, Politics and Violence: The catch of the plastinian, Current Sociology, Vol. 61, No.2, SAGe, UK, pp. 206-220.

(10) Mcmahon John (2017). The Engima of Bioplitics ": Anti blackness, Modernity of Roberto Esposito's Biopolitics, Political Theory, Vol. 46, Issue5.

http://0811308oh-1105-Y-https-doi-org.mplci.egb.eg.

(11) Mens J. Alexander (2022). Focault, bioplitics, and Critique of state reason, Educational Philosophy and Theory, Vol. 54, No.12,

http://dol.org. /Routledege, Taylor and framcis Groups.

(12) Mills, Catherine (2013). Biopolitical Life Soderlon Academic Studies, pp. 73-90. www.diva.portal.org. 25/3/2024, 12 Pm.

(13) Nillson Jackob and Sven-Olov Wallen Stein (2013). Faucault Biopolitics and Govern mentality, Sodertorn Academic studies, 54, Sodertorn University. www.diva.portal.org. 25/3/2024, 12 Pm.

(14) PatKauskas, Justas (September 2021). Reflexife Biopolitics and the Structure of Experimental Knowledge, Philosophy and Social Criticism, Vol. 48, Issue 5, Age Journals. http:/joi.org./10.1177.

(15) Sarab Abu – Rabia – Queder (January 2019). The Biopolitics of declassing Palestinian Professional Women in a Settler-Colonial Context, Current Sociology, Vol. 67, Issue1, SAG3, UK, pp. 14-158.

https://doiorg/10.1177/0011311742432..

(16) Hanafi Sari (2013). Explaning Spacio-cide in the Plaestinian Territory: Colonization, Sepreation and the State of Exception, Current Sociology, Vol. 61, No.2, Sage, UK, pp. 190-205.

(17) The Gurdian (22 Nov. 2023): Israel Hamas War opens Up German debat over meaning of "Neveragain".

www.thegurdian.com. 5/12/2023 7Am :تاريخ الدخول

(18) V-VEED: Instagram, video (25/12/2023, 5 pm).

(19) Yana Gihara Yoshie (March 2021). The Practice of surrogacy as a phenomenon of "bare life": An analysis of the Japanese Case Appling Agamben's theory, current sociology, Vol. 69, Issue2.

(20) Zhang Y. Joy (2021). Politics of Existence and Social Change: In Sights from The Good food Movement, The Sociological Review, Vol. 169, Issue 3. http://0811308oh-1105-Y-https-doi-org.mplbci.ekb.eg.